

الدكتور محمد حاج حسين

اللغة والفكر بين ديوي والجرجاني

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

اصبحت معرفة نشأة الكلام من الابحاث الميتافيزيقية ، فعلم اللغة لا يقر الآراء الكثيرة المتضاربة في هذا الشأن، سواء منها البيولجية او الفزيقية ، او الاجتماعية التي ذهب اليها الباحثون ، لانه لا يعترف الا بالابحاث الخاضعة لقوانين علمية قائمة على الملاحظة والتجربة ، فاصل اللغة يقوم على افتراضات تحمل في طياتها الكثير من الظنون التي لا تتسق مع العلم . . والاصل النفسي لنشأة اللغة يذهب الى ان اللغة شديدة الاتصال بالفكر ، فلا كلام بلا عقل ، وينشأ الكلام عندما نحاول التعبير عن افكارنا ، وهذا معناه — في رايهم — ان الفكر هو اصل الكلام ، فقد فكر الانسان ، ثم نطق . . ولا يعنون بالكلام التعبير عن الافكار فقط ، بل هو يشمل جميع العواطف والرغبات والانفعال .

وهكذا عظم الاصل النفسي للغة الفكر ، وجعله مصدر الكلام وسببه ، فالصلة بين اللغة والفكر متلاحمة متداخلة لا يمكن فصمها . . ما دام الفكر هو اصل نشأة الكلام . وهذا الراي يراه كثير من الباحثين ضربا من الرجم بالظنون البعيدة التي لا تحل مشكلة نشأة اللغة ، فهم يرون ان الصلة بين اللغة والفكر معدومة ولا علاقة بينهما البتة ، فاللغة تختلف عن الفكر في طبيعتها ووظيفتها ، فهي لا تعدو ان تكون وسيلة التفكير التي يعبر بها عن نفسه .

وجون ديوي يذهب الى ان اللغة غير الفكر ، ولكنه يعترف بالواشجة القوية التي توثق بينهما ، بل يجعلهما متلاحمين في ارتباط عضوي ، بحيث ان اللغة تتاثر بالفكر، وتؤثر فيه بصورة قوية فالفكر لا يتسنى له السلامة الا اذا اتيحت له اللغة الدقيقة الواضحة ، من حيث المفردات ، ومن حيث نوعها ودقتها ، والفكر المشوش القلق ناجم عن اللغة المشوشة ، التي لم تحسن التعبير عنه ، فاللغة تعبر عن الحقيقة اي انها استحضار سلوكنا ازاء الاشياء ، ومعنى هذا ان اللغة اداة ، وكان الفيلسوف الاميركي مدفوعا الى هذه الآراء اتساقا مع فلسفته البراجمتية العملية ، فليس الهدف الاساسي من اللغة مجرد نقل الافكار والانطباعات والاوامر من شخص الى اخر ، بل هو التاثير في سلوك الشخص الذي تنقل اليه تلك الافكار والانطباعات والاوامر ، ولا يتم هذا النقل على وجهه الصحيح الا اذا فهم الشخص معاني ما يصل اليه بالشكل الذي يفهمه الناقل ، والا فقدت اللغة جوهرها وذهب التفاهم بددا .

وعبد القاهر الجرجاني كما يقول عنه يحي بن حمزة العلوي صاحب الطراز « اول من اسس هذا العلم — البلاغة — واوضح براهينه ، ورتب افانينه وفتح ازهاره من اكمامها بعد استبهامها بكتابيه دلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة » .

فقد استطاع بعبقريته الوقادة ان يشيد صرح البلاغة على اسس فنية جمالية لم يستطع المنطق ان يستعملها ويحيلها الى اقيسة عقلية جامدة فقد استوعب اسرار الكلام واكتنه روعة جماله . ولو تابعه البلاغيون في نهجه القويم لبلغت البلاغة العربية القمة في ابداعها ، وابتعدت عن السلاسل المنطقية التي جمدتها واحالتها الى جمود وهمود ، ولاسيما بعد ان سيطر عليها السكاكي بكتابه المفتاح الذي جعلها تخضع للمنطق واقيسته .

والواقع ان عبد القادر الجرجاني اوتي موهبة فذة في ادراك جمال الكلام البليغ، وتحليله واستنطاق روعته يهديه في هذا ذوق مرهف ، وحاسة فنية خصبة ، فالبلاغة التي دعا اليها هي المثلى التي يجب ان يترسمها البلاغيون لادراك جمال الكلام الفني ، والغوص الى اسراره . واستطاعت عبقريته ان تسبق زمنها ، فقد نبضت عنده افكار عن علاقة اللغة بالفكر هي في صميمها الافكار التي اذاعها ديوي ، وان لم تات بالتفصيل الدقيق والوضوح الذي بدت به لدى الفيلسوف الاميركي . ولا شك ان لتراخي المدة بينهما ، وتطور العلم والحضارة اثره في الطريقة التي وضحت بها لدى الجرجاني ، ولست بزعيم لك ان ديوي عرف الجرجاني او تاثر به وافاد من آرائه . هذا بعيد عن ظني، بيد انني اجد في هذا التلاقي الجميل بينهما دليلا جديدا على عبقرية الجرجاني التي كلما تقادم عليها الزمن زادها صقالا ومضاء فعبد القاهر عاش في القرن الخامس الهجري ، ووصل في هذه الفترة القديمة التي عاش فيها الى افكار ديوي ، او على الاقل استطاع ان يحيط بجوهرها ، ويبرزها

في اسلوب قوي يتقد ايمانا بفكرته والدعوة اليها .

وكما ذهب ديوي الى ان اللغة غير الفكر ذهب كذلك الجرجاني ، فنلاحظ انه في كتابيه : اسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، يقر فصل اللفظ عن المعنى ، او بعبارة عصرية فصل اللغة عن الفكر ، ولكنه يخالف ابا هلال العسكري الذي استجاد العبارات الادبية للفظها لان المعاني مطروحة لكل الناس يعرفها العربي ، وغير العربي ، فهو يرى المزية كلها للمعاني . يقول في أسرار البلاغة : « الالفاظ خدم المعاني ، والمصرفة في حكمها ، وكانت المعاني هي مالكة سياستها المستحقة طاعتها فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن ازال الشيء عن جهته واحاله عن طبيعته وذلك مظنة الاستكراه وفيه فتح ابواب العيب ، والتعرض للشين » فعبد القاهر يؤكد ان المعاني هي الاصل ، وليست الالفاظ سوى خدم لها ، فاللغة غير الفكر ، ولكنه يؤكد على وجوب التحامها في ارتباط عضوي ، فالمعنى هو الذي يتحكم في اللفظ ، وهو الذي يستدعيه . ويحمل على العناية باللفظ في دلائل الاعجاز فيقول : « وسبب دخول الشبهة عند من دخلت عليه انه لما رای المعاني لا تتجلى للسامع الا من الالفاظ ، وكان لا يوقف على الامور التي يتوخيها يكون النظم الا بان ينظر الى الالفاظ مرتبة على الانحاء التي يوجبها ترتيب المعاني في النفس ، وجرت العادة بان تكون المعاملة مع الالفاظ فيقال : قد نظم الفاظا فاحسن نظمها والف كلما فاجاد تاليفها ، جعل الالفاظ الاصل في النظم ، وجعله يتوخى فيها انفسها ، وترك أن يفكر في الذي بيناه » فعبد القاهر يشجب العناية باللفظ لمجرد جماله فلا قيمة له الا اذا التحم مع الفكر برباط عضوي ، فاللغة تخدم الفكر غايتها ان تترجم عنه بدقة لانها مجرد اداة لاستحضار سلوكنا ازاء الاشياء ولا يمكن ان يتم هذا الا اذا كانت اللغة وسيلة للفهم بين المتخاطبين .. يقول في اسرار البلاغة : « وهل شيء احلى من الفكرة اذا استمرت وصادفت نهجا مستقيما ومذهبا قويما وطريقة تنقاد ، وتبينت لها الغاية فيما ترتاد » فالفكر لا يحلو الا اذا ابانت عنه اللغة ، فهما متحدان في رباط وثيق لا ينفصم احدهما عن الاخر ، بل هما متلازمان فاللغة هدفها ابانة مكنون الفكر .. ولا قيمة لها بذاتها مجردة عنه .

ونظرية النظم التي ابتدعها لفهم اعجاز القرآن الكريم هي في جوهرها الاصيل هذا الترابط العضوي بين اللغة والفكر الذي اشاد به ديوي ، فليس النظم كما يقول : « سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب بعض » فالنظم في هذا التعريف الجامع المانع كلمات تتعلق ببعضها ، وبيان لاسباب هذا التعليق ، ولا يقصد بهذا الا المعنى العقلي الذي يتساوق مع المنطق فاللغة مرتبطة بالفكر تتاثر به وتؤثر فيه لتبرأ من التناقض والاحالة فالاعجاز في القرآن الكريم ليس بالالفاظ ، او بالاعراب ، وليس في الحقيقة او بالتصوير ، وانما هو بكل اولئك وبامر اخر هو المزية الجمالية التي تمنعك ان تبدل حرفا عن موضعه او تاتي بكلمة مرادفة لكلماته الاصلية .

وهكذا تجد ان النظم لدى الجرجاني هو في حقيقته هذا الارتباط العضوي بين اللغة والفكر ، فالالفاظ لا معنى لها الا اذا كانت مرتبة في موقعها ، بحيث تكون خادمة للفكر تنقله الى الاخرين ، وتجلو صقاله وتنير ما استغلق منه فاذا اخل بترتيب لفظة عن مكانها تعثرت اللغة ونأت عن هذا الترابط الشديد بينها وبين الفكر . يقول في اسرار البلاغة : « وهذا الحكم – اعني الاختصاص في الترتيب – يقع في الالفاظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس ، المنتظمة فيها على قضية العقل ولن يتصور في الالفاظ وجوب تقديم وتاخير وتخصيص في ترتيب ، وتنزيل ، وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركبة واقسام الكلمة المدونة فقيل من حق هذا ان يسبق ذلك حكم ما ساهنا ان يقع هنالك كما قيل في المبتدأ والخبر ، والمفعول والفاعل حتى خطر في جنس من الكلم بعينه أن يقع الا سابقا وفي اخر ان يوجد الا مبنيا على غيره ، وبه لاحقا .. كقولنا ان الاستفهام له صدر الكلام ، وان الصفة لا تتقدم على الموصوف الا ان تزال عن الوصفية .. الى غيرها من الاحكام ..

هذا النص غني في دلالته ، فاللغة التي لا تنتظم مع الفكر بهذه الوحدة العضوية التي توثق بينهما تفقد خصائصها وقيمتها ، فالالفاظ يجب ان تكون مرتبة على المعاني المرتبة في النفس بحيث يكون هذا التلاحم الشديد بينهما ، ليبدو الفكر واضحا منسقا في جلوة ساحرة بعيدا عن اللبس والغموض، فعبد القاهر يرى ان قلقلة لفظة من مكانها يجعل المعنى مستغلقا ، واللغة خادم امين لنقل الفكر، والالفاظ لا حياة لها بدون المعاني التي تدور في الذهن، يقول في اسرار البلاغة « فاذا رايت البصير بجوهر الكلام يستحسن شعرا او يستجيد نثرا ، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ ، فيقول : حلو رشيق ، وحسن انيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم انه ليس ينبئك عن احوال ترجع الى اجراس الحروف ، والى ظاهر الوضع اللغوي ، بل الى امر يقع من المرء في فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل في زناده » وهذا النص صريح في مرماه ، فليست اللغة سوى لحمة الفكر وسداه ، فالاعجاب بالشعر او النثر لا ياتي من الالفاظ الرشيقة الموسيقية ، بل ياتي من الفكر الذي يكمن وراءها ، ويختلج في اهابها ، فالجرجاني يعترف بالواشجة الشديدة التي تربط اللغة بالفكر كما وردت عند ديوي ..

ويرى ديوي ان الفكر لا يكون سليما الا اذا اتيحت له اللغة الدقيقة ، والجرجاني دعا الى هذه الفكرة في تشييد صرح بلاغته الباذخ ، فالفصاحة عنده ، ليست بالكلمة ، ولا وصفا داخلا بها ، انما هي الكلمة التي يتداولها الناس ،



قطار الاماني

* * *

لا تعجـل ليسهـر القنديـل ... ودع الليل باشتيـاقي يطـول
فانتظار الجنـان اطيب منهـا ... اوما بالشعاع خط الافـول ؟
انا اخشى علـيّ بـرد ارتوالي ... عندئـا بالقليـل يروى القليل
فامضي حيث الدروب تناى ولا ... ينهب من نعمة العذاب الوصول
وابـق في الافق للاماني ضبابا ... ينعـم الطـل ان عراها ذبـول
فتراني كمـا يشهـي سراب ... او يحلـي مـا نعلـم المجهـول
لا اولـي كموسم يانـع عفـر ... خدبـه فـي الصبـاح الاصيل
وصحيـح اننـا اذا ما اردنـا ... بالهـوى نستطيع ما يستحيل
انما الحب ليس يرضى اقتدارا ... وطريـق الهنـاء عجز جميـل
انـا ان يشقني قطار هيامـي ... فالـذ الوجـود ذاك الرحيـل

دكار ــ السنغال — **باسمة باطولي**

ويعرفونها في استعمالهم ، وفي زمنهم . يقول في اسرار البلاغة : « واما رجوع الاستحسان الى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه ، وكونه من اسبابه ودواعيه ، فلا يكاد يعدو نمطا واحدا ، وهو ان تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ، ويتداولونه في زمانهم » . فالفصاحة تكمن في الكلمة المانوسة لدى جميع الناس ، لانه ادرك ان الفكر لا يمكن ان يكون واضحا الا اذا كانت الالفاظ التي تترجم عنه دقيقة واضحة ، لا يستغربها الناس ، فغاية اللغة ان يفهمها الجميع ، ولهذا وجب الا يكون اللفظ « وحشيـا غريبا ، او عاميا سخيفا ، سخفه بازالته عن موضوع اللغة واخراجه عما فرضته من الحكـم والصفة » فالالفـاظ السخيفة لا تخدم الفكر لانها تنقله مشوشا بادي الاضطراب بحيث يفقد وضوحه ودقته عندما تستعمل كلمات خارجة عن المفهوم اللغوي ، فالفكر المشوش نتاج اللغـة المشوشة كما يقول ديوي . . والجرجاني يؤيده بقوله : « والالفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التاليف ، ويعمد بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب » فغاية اللغة خدمة الفكر بجعله واضحا ودقيقا بعيدا عن كل التواء ، ولهـذا وجب ان تكون اللفظة دقيقة في مكانها ، حية في استعمالها لتكون امينة بنقل الفكر ، وافهامه للاخرين ، ولهذا دعا الجرجاني الادباء ان يعيشوا في زمنهم ، ويقبسوا لغتهم من الكلمات الحية التي ينطق بها الناس ، ويتداولونها . . وينأوا بجانبهم عن الكلمات التي هجعت في المعاجم بعد ان فقدت كل حياة بازورار الناس عن استعمالها ، فلا يمكن ان نتصور لفظا من غير معنى : « وكيف يتصور ان يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى ، وانت اذا اردت الحق لا تطلب اللفظ بحال ، وانما تطلب المعنى ، واذا ظفـرت بالمعنـى ، فاللفظ معك ، وازاء ناظرك » ، فاللغة تفقد جوهرها اذا لم تبن عن الفكر ليتم التفاهم ، والالفاظ تتساقط على الورق في سهولة ويسر اذا كانت المعاني مرتبة في الذهن ، فقد ادرك عبد القاهر ان تغيير الالفاظ يتبعه تغيير المعنى .

الست ترى معي أن هنالك قرابة قوية بين افكار عبـد القاهر الجرجاني ، وجون ديوي رغـم تراخي الشقـة بينهمـا ؟. وهكذا تتلاقى العقول الكبيرة مهما تباعدت بينها الظروف والبيئات .

مكة المكرمة — **محمد حاج حسين**

على ارض العراق

جاءنا من الصديق الشاعر محمد عبد الغني حسن هذه القصيدة التي اعدها لمهرجان الشعر السادس في بغداد و « الاديب » ماثلة للطبع ، ولكي لا يؤجل موعد نشرها نشرنا منها ما اتسع المجال لنشره معتذرين للشاعر الكريم وللقراء الاعزاء (الاديب)

ايهـا المتذرنسا الا نلاقي ... قد تلاقينا على ارض العراق !
هذه بغداد .. لا تكفي يدي ... للتحيات ، فخذها بالعناق !
المسافات طويناها على ... صهوات الريح ، لا ظهر النياق
فكأنا قد بلغنا سدرة ... في السموات .. على متن البراق !

هذه بغداد .. هذا كرخها ... واسع الساحة ، ممدود الرواق
تلقاني – على فرحتها – ... بدموع جائلات في المآقي
هو دمع الفرحة الكبرى بما ... كان من لقيتنا بعد الفراق
اه ! ما اطيبها من لحظة ... جمعت قلبين كانا في اشتياق !..

قد حططنا الرحل من بعد السرى ... ولممنا الشمل من بعد افتراق
هذه بغداد ! هذي ليلة ... من لياليها الوضيئات البواقي
لست في حلم ، فهذا نخلها ... والفراتان جميعا في نطاقي !
ايها الموهمنا الا نلاقي ... قد تلاقينا على ارض العراق
حمل المنبر منا امة ... جمع الله خطاها في اتساق
ظللتها راية واحدة ... نحو اهداف جليلات ، دقاق
هذه الرقعة من مزقها ... من بلاها بانقسام والشقاق ؟
قد يطاق الخطب الا فرقة ... فهي خطب فادح غير مطاق ..

هذه الايدي على الحب التقت ... وعلى الود تلاقت والوفاق
اخذت تجربة من امسها ... لغد ترجوه في يوم السباق
ان من حقق مجدا ماضيا ... ليس يعييه من الامجاد باقي ...

هذه امتكم شامخة ... ليس يرقى مثلها في الارض راقي..
سائلوا الاهرام من موكبها ... وسلوا البحر يدوي في اصطفاق
فاعيدوا العهد من امتكم ... وابلوها بكم اسمى المراقي
واعيدوا وطنا مغتصبا ... قد سقاه الدهر بالكأس الدهاق
سلبته منكم شرذمة ... ما لها في كل ارض من خلاق
تبذر الفتنة في كل ثرى ... وتبث الشر في كل نطاق
ركبت فطرتها من حسد ... ومن الحقد لئيما في نفاق ...
سرقوه منكم في وضح ... من نهار ، وليال من محاق
اسالوا الاردن عن مشروعهم ... فيه ما بين اختلاس وارتفاق ..
همهم لو ظمئت ضفته ... بين ايديكم ، ولم ترو السواقي !
اظمئوهم ! واجعلوا اكبادهم ... في اشتعال ، واتركوها في احتراق!
جردوا اسيافكم من غمدها ... لا يهاب السيف الا في امتشاق
هم يعيشون باكباد غلاظ ... أتعيشون باكباد رقاق ؟

انا في حلم ام يقظة ؟ ... انا في الندوة صاح يا رفاقي ؟
هذه بغداد ... ما ايوانها ... مثل ما كان ، وما الطاق بطاق !
فرغ السامر من هارونه .. ... وخلا المجلس من خمر وساقي !
ضجة الثورة لم تبق على ... شفة الثوار كأسا لمذاق !
لم تدع غاياتهم متسعا ... لاصطباح ، او مجالا لاغتباق ..!

انما الشعر – وانتم اهله – ... سائق الارواح في اسمى مساق
ملهم الانفس ، بل رافعها ... للسموات .. الى اعلى طباق ..
نغم سار ، وهمس ذائب ... بين قلبين ، وفكر في انعتاق ...

القاهرة – بغداد

محمد عبد الغني حسن

سكب الليل ظلامه على المدينة ، وراح يشتت دخان المدافىء فترشفه السماء بشراهة . كان « عياش » لا يزال يجرجر اقدامه في الشوارع الفسيحة غير عابىء برذاذ المطر . وكان كلما لفظه شارع ابتلعه اخر باضوائه الكئيبة ، حتى وجد نفسه اخيرا عند خط حافلة «محطة الشام» . واجال بصره في البعيد فلمست الخطوط الحديدية كطريق ندى انبثق وسط الظلام .. وسمع صفيرا ناعسا فايقن ان قطار الليل اوشك ان يخترق خيوط الدجنة .

وقف « عياش » برهة وهو ينصت الى هدير العجلات المنتفخة بضجيج العودة وفرحتها . ولفحه فجاة هواء ساخن فابتعد هاربا وهو يلف نفسه بمعطف سميك ، ويضغط باصابعه على عدد من الكتب .. تلك هي ليلته الاخيرة في هذه المدينة المتشعبة .

كانت الشوارع قد خلت الا من شتات المارة المتناثرة كذباب اصابه رش من دواء قاتل . وشعر «عياش» وكانما اضواء الاعمدة المرتفعة تزداد اضمحلالا .. وضاقت الدنيا في عينيه رغم سعتها .. وتمايلت الابنية حتى بدت وكانها تتعانق عند حافة السماء الحالكة السوداء ، اما الاشجار فقد تهدلت اغصانها واستسلمت اوراقها لسيف الخريف الاصفر .

كان « عياش » يتمنى ان يطول الليل .. ويطول ، والا ينبثق فجر الغد . انه يشعر وكانما الارض تثقل قدميه باغلال سوداء لا يستطيع معها حراكا . هنا عند هذه الزاوية ابتسمت له يوما فتاة ناضجة .. وخلف هذه الخمائل ارتشف كاس السعادة مع من احبها .. وهناك ، على الرابية المطلة على حلب كسائح اخذته روعة المدينة ، امضى اياما من المرح اللذيذ في الجامعة مع اصدقاء من مختلف المدن والقرى .. وتحت هذا البناء الشامخ عاش اكثر من سنة في القبو الرطب مع امراة ثرثارة اذهبت الايام بثلثي عقلها ، ورغم هذا فان «عياش» كان يجد في احاديثها التائهة بين الحقيقة والخيال متعة لا تفوق متعة في رؤية فيلم مثير .

وصل « عياش » الى الشارع الهادىء المنبسط خلف الحديقة العامة فتناثرت نظراته بين اضواء الحديقة الصامتة وبين همسات « دار المعلمات » الناعمة وكانما الفتيات قد احتشدن خلف النوافذ يلوحن بايديهن تحية الوداع . وتنسم برائحة اشجار الصنوبر الراقدة بسكون ، والرع انفه بهواء مليء بدخان المازوت الصاعد من مداخن « شركة الكهرباء » التي خلفها وراءه كاشباح باسقة الطول تدخن لفائفها القذرة في احشاء الظلام . وشعر وهو يعبر الى شارع

العشاء الاخير

بقلم جهاد الكاتب

«محطة بغداد» [illegible] دوي العجلات وهديرها ، وبانعدام رائحة المازوت الكريهة فاملأ صدره بهواء نظيف ثم زفره بكآبة .

قبل ان يصل الى القبو العفن تباطأ بخطواته واخرج يده من جيب معطفه ، وكانت تعتصر برقية وردته مساء اليوم . وقراها مع نفسه تحت ضوء متارجح النور ، وتلك هي المرة المئة التي يجدد فيها القراءة ، وكان في كل مرة ينسى بعض الفاظها رغم انها لا تزيد على اربع كلمات .

طوى « عياش » البرقية وعاد يعتصرها في جيبه من جديد .

عندما انحدر بدرجات سبع الى القبو الفاه مفتوحا . واذ ولج الى حجرته انتصبت امامه العجوز صاحبة المكان وهي ترغي وتزبد :

ــ اين كنت ؟ اراهن انطهو المطاعم لا يؤكل . والدك يرسل لك المصاريف لتدرس .. وتنجح .. وتصبح طبيبا .

ورغم ان « عياشا » افهمها اكثر من مرة بانه يدرس الهندسة المعمارية الا انها تصر اصرارا اعمى على انه يدرس الطب ، حتى انها دابت اخيرا على ان توجه اليه اسئلة ملحة عن دواء اوجاع البطن وعن كيفية تقوية البصر والسمع . لقد ادركت العجوز بسهولة تامة ان في الامر جديدا .

كان « عياش » قد خلع ثيابه واندس في فراشه كالسلحفاة ، وتظاهر بالنوم ، فاغتاظت العجوز واضافت على الفور بلين مصطنع

ــ انت مريض ؟ ثم سادبر لك «غلوة» تريحك في الحال . يبدو انك لن تقرا شيئا الليلة . ولكن اياك ان تنهض في منتصف الليل ، انك لا تدفع لي اكثر من ليرتين ثمنا للكهرباء طوال الشهر !

رفع « عياش راسه عن الوسادة وقال باقتضاب : اطفئي النور .

بهتت العجوز ، وراحت تقوم بحركات غريبة لتفصح عن غضبها وانزعاجها من هذه الامسية . واذ ايقن « عياش » بانه لن تتركه قبل ان يفضي لها بالخبر عاجلها قائلا :

ــ حسنا . الي بكاس من الغلوة .

جلس « عياش » على فراشه ووضع وراء ظهره الوسادة وراح شاردا في رسم زيتي اهداه له احد الاصدقاء . كانت اللوحة تمثل راعيا يهش بعصاه على اغنامه ، بينما اقتعد فلاح ظل شجرة وارفة عند ساقية خضراء وهو يرسل الحان مزماره . ورغم ما في الصورة من تناقض ، لان الهش لا يلازم الغناء ، الا انها كانت تبعث في نفسه شوقا جارفا لحياة هانئة تسير كالساقية ، وظليلة يتفيأ باغصانها المرموقة . وشعر « عياش » فجاة وكان رمال الجزيرة والفرات تدمي عينيه ، وحر تموز يلهب جلده

قصة

وجهه المدور .. لا بد ان يعود اذن الى الرمال واللهب ، وان يكتوي بها كما ذاق مرها من قبل اجداده المساكين .. ثم اي حــب له هنـــاك في « البوكمال » ؟ انه يشعر وكانه خلق ليكون اسير مدينة حلب المتسعة الاطراف ، الصاخبة في الليل ، وانه لم يولد قط في « البوكمال » وازقتها الرملية ، واوراقها المتطايرة ، بيـن جماعات من الذباب الحائم كالنسور الجائعة .. انه لا يـــدري اي قوة شيطانية تقلب حبات الرمال نهـارا الى ذباب ارعن ..

رجعت العجوز وفي يديها فنجانان كبيران يحتويان القلـوة السحرية . وتذكر « عياش » في الحال كيف انه عندما اتخذ من هذا القبو مسكنا كان يشعر بانقباض كلما اذن ان يعود اليه ليفترش رطوبتـه ويلتحـف رائحة العفن . على انه تآلـف مع العجوز سريعا حتى بات يعتبرها جدة ثانية له . ولم يكن ليـسمع من قبل بالقلوة في بلدته البعيدة ، والعجوز هي التي اجبرته على احتسائها حتى اصبـح اسير نكهتها . ومع هذا فانه لا يزال يجهل ، حتى هذه الساعة ،مما تتالف القلوة اللذيذة . وكانما وجدفي جهله هذا عنصراً يضاف الى مكوناتها البرية من زهور واعشاب .

قالت له العجوز ممازحة : ــ اهي واحدة اخرى ايها الشقي ؟ الا يكفيك حب واحد .. ؟

واضافت وهي تضم قدميها وتلوح بكفها : ــ كل الرجال خداعون ... حتى زوجي اللعين كان كاذبا .

وراحت العجوز تعيد سيرة زوجها الراحل مجددا وكانها تقصها للمـرة الاولى .

كان « عياش » لا يزال صامتا .. غارقا في اوجاسه وآماله البعيدة .. البادية له كـراب يلوح وسط الرمال الكثيفة . وما ان انتهت العجوز من سردها المتواتر حتى قالت بعصبية :

ــ اجبني اين كنت ؟ الا تتعشى ؟

سارع « عياش » الى القول وكانما تذكر امرا هاما :

ــ اجل .. اجل ، العشاء . ضعي كل ما لديك من الطعـــام . سآكل كثيرا هذا المساء .. انشهوتي للطعام جارفة .. اسرعي يا جدة .

اجابته العجوز وهي تلوي برقبتها نحو المدفاة الصغيرة بشـــيء مـن الارتياح :

ــ لن احضر شيئا حتى اعرف ما يجول في خاطرك .

وطمأنها « عياش » في الحال :

ــ ساقص عليك كل شيء بعـد العشاء . ضعي كل ما لديك .. كل الاطباق .

قالت العجوز وهـي تنفتل الـى خارج الحجرة : ــ الحق الكذاب الى وراء الباب .

وضحــك « عياش » وهو يسدل جفنيه عن اللوحة الزيتية .

بعد العشاء الذي استغرقت العجوز في اعداده ساعة كاملة عاد « عياش » الى حجرته متثاقلا فلحقته بسرعـة ويداها ملوثتان بالحمص والعدس وعاجلته بالسؤال :

ــ قص علي اذن .. لقد وعدتني بذلك .. قدام قبل ان افرغ انا .

ووجد « عياش » نفسه امام مازق لعين . كان يتمنى ان يعود الى القبو ويرى العجوز نائمة ، وان يرحل عند الصباح الباكر في السيـارة الاولى المتجهة صوب الشرق حيث بلدتـه تطويها مئات الكليومترات من الرمال .. الا انه وجد نفسه امام فخ لا مناص من ولوجه . وتباطأ « عياش » في الحديث فقطعت العجـوز وقالت بحـدة :

ــ سابعـــث الى والدك رسالة . سأحدثه عن خمولك وكسلك . انت لا تقـرا شيئـا .. وتمضي وقتـك في السهر خارج البيت .

ووافاه الضحك ، فهو يعلم انها لا تحسن قراءة ولا كتابة ، ولو احسنتها لما استطاعت ان تخط كلمة واحـدة بيدها الراجفة . ثم ان معلوماتها عنه لا تساعدها على ذلك .. فهي لاتدري من اي بلدة هو جاء ، رغم انه ذكرها بها عشرات المرات . ماذا يقول لهـا الآن ؟ هـل يحدثهـا عـن رحيله المفاجيء غدا ؟ وهل ويخبرها بـــان والده قد سئم الحياة فخلقها مــن ورائه لامه العاجزة وزوجته العليلة ولاربعة اولاد كلهم من البنات ؟ قال لها وهو يتمدد على الفراش :

الديك سيجارة ؟

انصرفت العجوز في الحال ثـم عادت وقد اولعت لفافة تحبذ النسوة تدخينها . وبعد ان قدمتها له قالت بنبرة فيها كثير من نفاذ الصبر :

ــ متى كنت تدخن ايها الشقي ؟

ــ اليوم مساء .

وران الصمت الصارخ على الحجرة كانت انوار السيارات تخترق بين آن واخر زجاج النافذة المستطيلـة الشكل ، المعلقة عند سقف الحجرة ، والمحاذية من الخارج لرصيـــف الشارع . وشعر « عياش » بالرطوبة تدق ظهره وتلسعه كالسياط المبللة . واذ اراد ان يتدثر باللحاف هزتـــه دمعتان تلألأتا على خدي العجوز فقال وهو يغالب النحيب :

ــ لم تبكين ؟

وللمرة الاولى يعجز لسان العجوز المثرثرة عن الاجابة ، بينما كانت من قبل ترد بالبديهة على كل كلمة تطرق سمعها . واضـاف « عياش » بعد فترة من الصمت تخللتها نظــرات مبهمة :

ــ ازعجتك يا جدة ؟

وارتسمت على وجه العجوز الوان من التعبير الكئيب ، وبدت وكـانها تقول مع نفسها :

ــ اجل .. اجل .. لقد اذيتني .

مسحت العجوز دمعهـــا بطرف صدارتها ثم قالت بصـوت هـادىء حزين : ــ هل اطفيء لك النور ؟

نفث « عياش » دخان سيجارتـه .. وقال : ــ اطفئه بنفسي .

واردفت العجـوز وهـــي تهم بالخروج : ــ اتريد شيئا ؟

وجلب السؤال الـى فكره آمـالا

عديدة . كان بوده ان يقول لها اجل .. اريد اشياء كثيرة ، اريد ان اتابع دروسي واصبح مهندسا وان اتزوج ممن احب ، وان اخلص للاصدقاء .. واحتضن الذكريات الحلوة دون ان تعكرها سحابة طائشة من الغم والكآبة . كان بوده ان يحدثها عن البرقية ، وعن امه .. واخواته الجميلات ، وجدته العاجز .. والبيت الطيني ذي الحجرتين المظلمتين .. ولكنه آثر الصمت ، واكتفى بان قال وهو يخفي الدمع عن العجوز :

ـ كان عشاءا فاخرا لن انساه ابدا .. طول حياتي .

ثم همس كالمشدوه : ـ العشاء الاخير .

ويبدو ان العجوز ، رغم ثقل سمعها ، التقطت كلماته الاخيرة بشيء من الانتباه فابتدرته قائلة :

ـ سترحل . .؟ ارايت غرفة في طابق مرتفع ؟ هذا .. هذا قبو ، ولكنه احسن من الطوابق . هل آذيتك في شيء ؟

وضمت وجهها بين كفيها وراحت تبكي .. وابتسم « عياش » لقد ذابت احزانه الان في انتظار الغد ، واستحال قلقه خوفا غامضا . ليتها تدري كم من الاعماق ستنحدر به الحياة . ولكم تمنى « عياش » ان تسعفه الكلمات ليترجم مأساته للعجوز . لعلها لن تعي من حديثه سوى انه حزين على والده الذي رحل عن هذه الدنيا ، وان عليه ان يعمل ليقدم لعائلته المنكوبة قوت يومها . ان الموت بالنسبة اليها شيء تافه لا يستحق دمعا او اكتئابا ، وان الحياة اشد حقارة من الموت ، والوفاء والاخلاص في عرفها واعتقادها هما الخلود الحقيقي .

فكر « عياش » قليلا ثم قال : ـ لن اعود . سأترك هذه الكتب عندك تذكارا وارجو الا تبيعيها .. لن اقرا بعد اليوم شيئا .

وشعر ، وهو يرمي بقوله هذا ، ان قبره سيكون اشد برودة من هذا القبو العفن .. وانه انما ينتزع عن قلبه الشرايين والاوردة ويلفظها امام كلب هرم .

وبدت العجوز وكأنها خرساء ، فقد تلاشت ثرثرتها عندما نهض «عياش» كالملدوغ واطفأ النور . مضت العجوز نحو الباب وصفقته خلفها بقسوة ، وكان عياش قد قذف بنفسه فوق السرير وفي يده ورقة صغيرة .. وخيل اليه انه يسمع غناء المدفأة ، ولهيبها يحتضر بطيئا ، وكأنما هو قيثارة راع حزين .

انه الان يذكر ، وهو ممدد في سريره يحتضنه الظلام الكئيب ، كل حرف من البرقية ، بل ويحفظ ترتيب كلماتها كما هي « احضر حالا ... مات والدك »

حلب — جهاد الكاتب

خمس قصائد جديدة

٦٥/١/١٥

كل ما قد رايت في طول عمري لم يكن غير ضلة الاوهام
نعمة اسبغت على عقم عيشي ومضات الاحلام والالهام
فهنيئا لخاسر ما لتنه عن هواه مواعظ الايام

٦٥/١/١٦

طي نفسي ما يخرس النغم الوردي ويضفي على الشروق سوادا
غير اني ما زلت اومن صدقا بك يا مالىء البيوت حدادا !
انا ادري اني سامسي رمادا قبل أن يشمل الاخاء العبادا

٦٥/١/١٩

ما اروع الانثى بادوارها ! وافظع الادوار في سخفها !
والشاعر الغر باوهامه يستنزف الالهام من عسفها

٦٥/١/٢٧

نكئت جراحي بغتة واستيقظت نار الهوى بشيسها ولهيبها
هل ذا السعير عقاب روح آمنت بالحب والتثرت بعطف حبيبها ؟
لهفي على لحظات نعمى لم تشب الراحها بحدادها ونحيبها

٦٥/٢/٣

ان روحي تحيا كل ربيع ، بالرغم من الاغنية المتكررة طوال سنيها الثمانية ...

حقا ، انها ذرة من الارض . ولا شك انها ستحيا في القبر ، وتتفتح مع التراب خضرة وازهارا ... ولكنها لن تعشق في وادي السكون ... انها ستظل في حرمانها غير الشاعر الى ابد الآبدين !

ان نعمة الحياة لا تعطى الا للمهتدين من الاحياء .

ان الحب منذ الازل والى الابد ، هو انطلاقة عبر الحدود هيهات ان تتكرر ... هو النار التي لا تخبو والاشراقة التي ترف في الظلمات .

حلب — علي الناصر

قلعة تدمر

* * *

جثمت بمدرجة الفضاء الابعد … وكأنها قدر بغيب سرمدي
طلعت على الدنيا تشع بساطع … من روعة كالكوكب المتوقد
وتشوفت حبك الغمام قبابها … زيافة بتشوف المتمرد
بسطت جناحي جارح في شاهق … ما بين متفرج وآخر موصد
أنفت مجاورة التراب فحلقت … مزهوة بسمائها كالفرقد
فكأنها لما أطلت عارض … في الافق جاش بجنحه المتلبد
من كل صرح في الفضاء محلق … بقوادم مرصوفة من جلمد
من دونها تجد العيون حواسرا … من رهبة بتبتل المتعبد

درج الزمان بساحها في غابر … طفلا يتيه بغصنه المتأود
وجرى يدل معربدا بشبابه … من نشوة عرضت وتيه معربد
وترعرع التاريخ في احضانها … ما بين سابقة وبين مهند
قامت كمحراب الزمان بمشهد … وجلت جلائل فنها عن مشهد
قطع من الاحجار أحكم رصفها … فطن من الصناع محمود اليد
خلعت يداه على الجماد مهابة … فاذا الجماد من الجلال كمعبد
حار اللبيب بها فاطرق خاشعا … من دونها بسريرة المتهجد
كانت من التاريخ اروع صفحة … لحضارة درجت بكل مخلد

دقت روائعها وجل دقيقها … من كل ركن بالوقار موطد
عمد كمجدول الغمام تضافرت … في منهج وتشابكت في مقصد
عقدت اعاليها بكل مشيد … من زخرف عجب وعقد مفرد
تاج بذروتها تأنق شرفها … بحضارة سطعت سنى كفرقد
من كل ابدة ولم تعفر فما … بلسان جمال أفصحت كمغرد
اعلامها منشورة لعظيمة … وتنودها برقت سنى بسؤدد
ما كان في الحسبان ثم حجارة … من قبلها يوما غلت كالمسجد
من دونها خشع الفؤاد واطبقت … عين باجفان الطريح المجهد

كيف التفت رايت شيئا معجزا … من شيق عجب يروع ومحتد
عمد مصردة القباب تدافعت … كتوافر بضراوة المتساند
جثم الزمان بفيئها متاملا … يستعرض الماضي ويمعن في الغد
وكأنما الماضي على شعفاتها … سطر تلالأ مشرقا في الجلمد

ألقى السكون بساحها سكنا له … فاناخ بطرق سادرا كالهجد
أعلامه لا تأتلي منشورة … ملء الفضاء على الصعيد القدفد
والوحشة السوداء تزخر دونها … كاليم في جنح الظلام الارمد
عصفت مصفقة تجيش بالمد … وتسح من قتم السواد بأثمد

وعجائب عن غابر مبثوثة … فوق الصعيد على الثرى المتبدد
صور على الصمت العميق بيانها … في مسمع الدنيا شدا كمجود
في صمتها بلغ البيان نهاية … من معجز القول المبين المفرد
ما كان من عور يشوب بيانها … فيما أبان لسانها عن مقصد
جاءت بما ضاق البيان بشرحه … من كل فصل محكم ومسدد
يبلى البيان على الزمان ويلتوي … قول البليغ لحبسة وتبلد
وارى لسان الفن ليس بملتو … يوما على كر الزمان السرمدي

دمشق

عدنان مردم بك



محمود محمد سليمان

حدود العاطفة في مدرسة الديوان

بقلم محمود محمد سليمان

معيار الخلود في الشعر ان يهتف بعرائس العواطف الانسانية ، فيجد الناس فيه مشابه لما يشعرون والشاعر الكبير كما يقول عبد الرحمن شكري : « لا يكتفي باقتسام الناس ، بل هو الذي يحاول ان يسكرهم ويجنهم على الرغم منهم فيخالط شعوره بشعورهم وعواطفه بعواطفهم » وليس كل شاعر بقادر على ان يكون حاديا لمجد امته الا الشاعر ذا الرصيد العاطفي ، الذي ينفذ بعين الالهام الى حجب الغيب ، ويرف الماضي الجميل لامته على لآلىء نظمه ، ومثل هذا الشاعر يقود نهضة امته بفنه الخالب الممتع ، اما اولئك الذين ينظمون بوحي العواطف الموهومة فلا طائل وراءهم ، اذا اعوز الامة اناشيد المجد والقوة ، ولا حظ لشعرهم في بقاء او خلود ، فاذا اردنا ان تستبين الحدود والمعالم التي تكشف عن العاطفة الشعرية كان لهذا البحث قيمته من حيث انه يصحح اعتبارات زائفة في تقويم الشعر كما انه يبين عن وظيفة الشعر الحقيقية ، ويميز الشعراء الذين يحق لهم بقدرة فنهم والهامهم هذا الوصف ، من اولئك الذين يقحمون ابواب الفن الشعري غرورا وجهلا بما يزعمون من ان قصارى جهدهم من استعداد الشعر ، ان يتهيئوا له بآلات من الدراسة ، لا تقدمهم فيه خطوة ، اذا تخونتهم الموهبة والطبع والشعور.

واذا كان شعراء مدرسة الديوان قد حددوا مفهوم الخيال الادبي فقد وضعوا الاعلام الكاشفة عن مفهوم العاطفة الشعرية ، ما حدودها ؟ وما مداها ؟ وكانت نظرتهم الى العاطفة اساسا لما هتف به وجدانهم من الشعر ، وكانت – كذلك – ضوءا كاشفا عن كثير من الحقائق الادبية . ماذا تقول في شاعر يملأ شعره بالمغالطة الكاذبة ، ويتلاعب بالفاظه ، ويستقيم في نظره الخيال الفاسد ؟!.

لا جدال في ان مثل هذا الشعر لا يصدر عن طبع ، ولا ينبع من عاطفة « بل ان الشاعر الذي ينتقي اساليبه عند النظم انما يصدر شعره عن طبع ناضب ، ليس في اعصابه نغمة ، ولا في قلبه عاطفة » (عبد الرحمن شكري مقدمة الديوان الثالث) .

وليس المقصود بالانتقاء هنا تهذيب الاسلوب وتصفيته ، بل المقصود بالانتقاء ، الترصد لاختيار الاساليب عند النظم وفي حالة المعاناة الشعرية ، وهذا بالطبع تكلف ، يدل على نضوب الطبع وانحلال العاطفة ، ونحن نعرف أن كثيرا من الشعراء المجودين منذ العصور الادبية الاولى كانوا يكرّون على قصائدهم بالتنقيح والتهذيب بعد الفراغ من النظم وانحسار الوحي الشعري وزهير ومدرسته في الادب العربي كانا على هذا المقوال .

وواضح أن الشعراء المطبوعين يعيشون في وهج الوحي والالهام حين ينظمون شعرهم وتنتابهم هزة الانفعال العصبي فتسيل بالبيان السنتهم بلا تعمد لبعض الكلام دون بعض، وليس هناك فرصة لاختيار اساليب البيان وانتقائها ، وانما تأتي الفرصة للاختيار والانتقاء بعد الفراغ من النظم يقول شكري « الشاعر الكبير لا ينظم الا في نوبات انفعال عصبي، في اثنائها تغلي اساليب البيان الشعري في ذهنه ، وتضطرب العواطف في قلبه ، ثم تتدفق الاساليب الشعرية كالسيل من غير تعمد لبعضها دون بعض » فالعاطفة الشعرية فورة نفسية تهتز لها أعصاب الشاعر فينغم بالشعر طلقا سهلا، وينبع من وجدانه المنفعل كما ينبع العطر من الزهر.

ويتضح من هذا ان للعاطفة الشعرية روافد تخالطها وتمتزج بها فالشاعر الذي يهبط عليه الوحي فيستكين لسيطرته مقهورا ، ليفيض البيان من لسانه عفوا بدون معاناة ، لا بد ان يكون معدا لطبع البيان بادمان الدراسة والاطلاع ، ولا بد ان يسعفه الخيال الخصب ، والذوق المصفى يقول شكري : «ادمان الاطلاع هو اساس في الشعر، لانه هو الذي يهيء الطبع ، والشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم فاصوله ثلاثة متزاوجة ، فمن كان ضئيل الخيال ، اتى شعره ضئيل الشأن ، ومن كان ضعيف العواطف ، اتى شعره ميتا لا حياة فيه ، ومن كان سقيم الذوق كان شعره كالجنين ناقص الخلقة ، ويتحقق الذوق السليم في الشعر بالتاليف بين اللفظ والمعنى » .

وقد هبط بالفن الشعري اولئك الذين يخضعون الشعر لدواع تمليها المناسبات ، وظروف الاشخاص ورغباتهم ، وكان الشعر عندهم بهذا الاعتبار بضاعة مزجاة ، يسوقونها حسب اهواء الناس وتجارة لا تربح الا حيث يشكلها الشاعر

ويهيئها للعرض والطلب ، وبئس الفن الذي ينزل من سمائه وروحانيته ، الى درك المادية المظلم ! اين العاطفة التي يستوحيها هؤلاء الشعراء ويصدرون عنها وهم يزورون احاديثهم تبعا لاهواء بعيدة عن احاسيسهم ، واغراض لا تتصل بنفوسهم الشاعرة ؟ اما ان تدفع الشاعر نفسه الجياشة بالخواطر ، الممتلئة بالومضات الشعرية ، واما ان يسكت !

وليس الشاعر ذلك الذي يتصدى لحوادث الناس ومناسبات حياتهم ، فيزعم لهم ولنفسه انه اقدر على ان يصوغ لهم مواقف الافراح واشجان الاتراح ، وهو في الحقيقة لا يجد اصداء لذلك في ذات نفسه . وصحيح ان كثيرا من الشعراء قد انحرفوا عن سواء الفن وجروا الشعر الى غير ميدانه فاوغلوا في العبودية ولصقت بهم سمات الذل والتبعية ، مع ان البيان في السنتهم نعمة تترجم عما اوتوا من احساس ، فهم اذا بطبيعتهم احرار خلقوا ليصوروا للناس جمال الحرية ، ويزخرفوا لهم محاسن الوجود ، فماذا دهاهم حتى اغوتهم المادية ونسوا ان فن الشعر لا يجود الا في ظل الحرية وما كانت الحرية عند الشاعر ان يصدر عن غير ذات نفسه ، ولا ان يصور غير عاطفته وما يحس .

يقول شكري : « ليس الشاعر آلة وزن ، او مصنعا للاوزان ، والشاعر لا ينظم من اجل ارضاء من يسأله النظم ، بل لا ينظم حتى تنويه تلك النوبة فتدفعه الى قول الشعر ، ولن يعود في عصر الحرية التي نعيشها ان يكون الفن لصيقا بالاعيان ، وذوي الشان ، استدرارا لمغنم مادي ، او استجلابا لمنفعة من منافع المعاش ، فاننا نأسف لان الادب العربي حفيل بكثير من الشعراء الذين سخروا قرائحهم ومواهبهم العالية لسخرة الملوك والرؤساء ، وسيبقى الشاعر نديم نفسه لا نديم الملوك ، متغنيا بجمال الكون ، شاديا المثل العليا ، التي يحس همسها في نفسه ، وذبذبتها في اعماق الوجدان ! » .

ولا يعني هذا الكلام ان ينعزل الشاعر الحق عن وجدان الامة وتيار الحوادث فيها ، بل ان وظيفته ان يترجم عن وجدانه ووجدان امته ، لان قلبه الوتر الحساس الذي يتأثر بحوادث عصره ومشكلات مجتمعه ، فيخرج انغاما متناسبة مع الحالات المختلفة التي تمر بالامة « والحياة بالنسبة للشاعر الذي يعيش لفنه قصيدة رائعة تختلف انغامها باختلاف حالاتها ، والشاعر الكبير هو الذي يعرف كيف يقتبس من هذه الحالات انغامها ويصوغها شعرا » .

ويقول الاستاذ العقاد : « الشعر حقيقة الحقائق ، ولب اللباب ، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول ، وهو ترجمان النفس ، والناقل الامين ، ولا تنحصر مزية الشعر في الفكاهة العاجلة ، والترفيه عن الخواطر ، لا ، بل ولا في تهذيب الاخلاق ، وتلطيف الاحساسات ولكنه يعين الامة ايضا في حياتها السياسية والمادية ، وان لم ترد فيه كلمة عن الاقتصاد والاجتماع فانما هو كيف كانت موضوعاته وابوابه مظهرا من مظاهر الشعور النفساني ، ولن تذهب حركة في النفس بغير اثر ظاهر في العالم الخارجي » .

وعبارة العقاد الاخيرة تبرز حقيقتين هامتين بالنسبة للعاطفة الشعرية واولى هاتين الحقيقتين انه لا ينبغي ان نعد من العواطف الشعرية ، العواطف السطحية التي تقف عند القشور دون اللباب ، فكثير من الشعر خاض الحياة الاجتماعية ، والاحداث السياسية التي طرأت على الامة ولكنه في معيار الفن قليل الجدوى ، لانه وقف عند وصف الحوادث وتسجيلها ، وانتهز الفرصة ليقف من الامة موقف الناصح الامين ومن أجل ذلك عاب العقاد شعر حافظ وشوقي في السياسة والاجتماع ، واعتقد ان الموقف في حاجة الى الايضاح بمثل ، يقول شوقي موضحا ما كان في مصر من انقسام وتناحر حزبي :

الام الخلف يا قوم الاما   وهذي الضجة الكبرى علاما
وفيم يكيد بعضكم لبعض   وتبدون العداوة والخصاما
ولينا الحكم حزبا بعد حزب   فلم نعد الجزاء والانتقاما
وسمنا الامر حين خلا الينا   باهواء النفوس فما استقاما

ولم يفعل شوقي اكثر من التناول السطحي للموقف ، والوصف القريب الداني ، فلم يتغلغل الى الاعماق والجذور ، وتلوين الاسلوب بين الخبر والانشاء ، وهو ما يعجب البلاغيين لم يكسب تعبير الشاعر القوة الوجدانية التي يتوخاها شعراء الوجدان في شعرهم الخصب القوي ، الامر الذي نلمسه مثلا في هذه القطعة لشكري وهو يؤلف بين المسلم والقبطي فيقول :

بني ابيه القبط من عليا شاهقة   ومحتد الصيد لا تمشي له الريب
اذا تنادى بكم من مجدنا نسب   فانتم في مراقي مجدكم عرب
ان التآلف لم يترك لنا نسبا   يلوى بكم دوننا من دونه نسب
اذا الاواصر لم تجعل لنا سببا   فحرمة الود فيما بيننا سبب
اذا هفوتم رميناكم بمعتبة   فان هفونا فلا يمكنكم الغضب
بدان ان تعطونا تعطوا يسدكم   كذاك نحن لنا في عزكم ارب
اني على شغفي بالاهل يطربني   اني اليكم اذا فاخرت انتسب
لان فخرت فبا لصيد الاولى اسروا   حوادث الدهر لم يخذلهم القلب

والشاعر هنا نأى عن الخصومة والخلاف الموهوم بين المصريين من عرب واقباط .

ليذكر الوشائج الرابطة بين ابناء الشعب الواحد ، وكشف حديثه عن الوشائج الظاهرة والخفية ، وما قصدت بهذا المثل الا توضيح الفرق بين العاطفة النافذة والعاطفة السطحية في الشعر السياسي ، والمسالة اعمق من ان يتناولها مثل واحد ، غير ان خلاصة الراي فيها « ان الشعر الصحيح هو الذي يتعمق وراء القشور السطحية ، مودعا في ابياته سرائر الامة ، وقسماتها النفسية ، لا في المنظور من احداثها السياسية ، واحوالها الاجتماعية ، بل في المكنون من دخائلها ، وسرائرها الباطنة » (شوقي ضيف في « مع العقاد ص ٩٩ ») .

والحقيقة الثانية اننا لا بد ان نعتبر موضوعات الشعر

رسالة

وابوابه مهما اختلفت بابا واحدا من الشعور الفعمانى .

وقد الف كتاب الناريخ الادبي وامعنه ان تقسيم الشعر الى ابواب منفردة كالحكمة والغزل والوصف وهذا التقسيم متعارض مع طبيعة الشعر الذى لا يعرف الفواصل والابعاد حين يعبر عن فيضان العواطف وثورة التجربة النفسية . وما اكثر ما تمتزج الفنون الشعرية في قصيدة واحدة . وانت تستطيع ان تجد حكمة الشاعر لاتخفى في كل اقسام شعره في الوصف والغزل والرثاء . فدى معناس تعبير قول الشاعر اذا اختلطت به الحكمة بالوصف او بالغزل او الرثاء . فتجد [illegible]

[illegible]

تقسيم الشعر الى ابواب منفردة كالحكمة والغزل والوصف راي غير سليم . لان النفس اذا فاضت بالشعر اخرجت ما تكنه من الصفات والعواطف المختلفة في قصيدة واحدة . شكري مقدمة الديوان الرابع) .

والحكمة التي تخالط اغراض الشعراء وتمازجها هي الحكمة العاطفية التي ينسجها الشاعر ممزوجة بمشاعره المتأججة . وليست حكمة الذهنية التي يمليها الشاعر في معرض الفكر او يلتقطها من حديث الناس . فشأن هذه الحكم ليس من باب الشعر في قليل او كثير . فيقول شكري : « فليس الحكمة في الشعر ان يحس لذعها في ذهنه لا يكلفها ولا يطلبها وحكمة الشاعر تجاربه وخواطره التي يصحبها الشعور والتفكير » (الديوان الرابع) .

ونحن لا نستطيع ان نجد الحكم العاطفية الا في مكانها الطبيعي من حديث الشاعر حيث تكون موصولة بسياق التجربة الشعرية ، مشدودة الى قصيدة الشاعر باسباب [illegible] من الغرض الذى يتحدث فيه الشاعر . ولكن الوصف مثلا — الى الحكمة ، فلا نجد فجوة [illegible] في سياق الحديث ، وتنقله بين الوصف والحكمة . مدح المتنبي بدر بن عمار بالشجاعة ، وحسن حظ الشجاعة فيما [illegible] ما بين الممدوح والاسد فقال

الى ورد[illegible] دونها	وفرس[illegible] فرسا حاله طفلا
[illegible] الفرسان في اقدامه	وتحاله في بلده الماكولا
ما زال يجمع نفسه في زوره	حتى حسبت العرض منه الطولا
[illegible]	لا يبصر الخطب الجليل جليلا

[illegible] المادح بالحكمة المناسبة [illegible] ملائمة لحديث الشاعر ، حتى [illegible] المعاني المختلفة تسرى تجربة الشاعر [illegible] من حديث الشاعر مرة من القول . [illegible] الاسباب واهية من الصلات .

[illegible]

ا[illegible]	لي عينه العدد الكثير قليلا
[illegible]	من حتفه من خاف مما قيلا

[illegible] الحكمة جاءت [illegible] لموقف الاسد واقدامه على معركة البطل دون خوف واحجام . وهى في الوقت [illegible] صورة البطولة والشجاعة التي يريدها الشاعر [illegible] لممدوحه [illegible] هي حكمة [illegible] اذا [illegible] [illegible] وحديث غير موصول بتجربة معينة [illegible] . [illegible] من حكمة [illegible] الشعور [illegible] في الحكمة العاطفية التي [illegible] الشعر .

[illegible] وهي كبيرة تؤكد لدينا راى شكري الذى [illegible] انه ليس صوابا ان تقسيم الشعر الى ابواب منفردة . لان تنفس النفس الشاعرة تمزج العواطف [illegible]

[illegible] صورة لمراحل نفسية مختلفة الف بينها موقف الشاعر في بعض تجاربه .

الفيوم (ج٠ع٠م) — محمود محمد سليمان

في كل بيت أم

ثريا ملحس

تخيط لي امي ثياب السرور
وتنقضي لونا بلون الزهور

وبيتنا يزهو بزهر الربيع
اشجارنا منثورة كالقطيع

هنا لامي طيبها كالعباب
هناك ايديها تحوك الثياب

وحبها ظل بسامي السماء
وقلبها رحب بفاهي الفضاء

وينحني راسي بثقل الهموم
بكفها الحبيب تجلو الغيوم

ورحت اعدو في الطريق القديم
وفي فؤادي الف جرح اليم

((امي)) صرخت مع عويل الرياح
كتمت صوتي لا اصدق الصياح

فهب ابكي صامتا كالذبيح
يا ليتني شرعت حرفي الصحيح

في الوجه وجه الموت ذاك العميق
يسيل كالحلم الخفي العتيق

يا ليتني وقفت صد الموات
عيدت امي في صلوعي حياه

امي ! لمست وجهها باليدين
رايتها ينساب كالجدولين

صفراء امي كالزعفران القديد
صفراء امي جسمها كالجليد

ووجهها محنط بالجمال
نور غريب شع فوق الجلال

امي وكنت الامس لي خير الرفيق
واليوم بعضي هالع كالغريق

شطر هنا وآخر في السحاب
كباحث عن ناطحات سراب

في كل بيت منك امي نسيم
في وجهنا امي بقايا الصميم

في كل بيت منك شيء دلال
وكل قلب ساجد في الليال

في كل دار منك شيء جميل
أمضي لكي اراه مثل العليل

امي وامي عزها من جديد
سعيي لكي اراه مثل العليل

فينا وفي دمائنا كاللهيب
يسري وفي ضلوعنا كالرقيب



كنت لنا مدينة ، يهب بحر نسيم عليه الشمس كل مساء ... كانت مدينة لها ابنية متواضعة تأخذ مكانها تحت السماء الزرقاء فلا تتطاول لتعانق الفضاء بحجارتها واعمدتها ... حيث مدينتي كانت مزروعة منذ الازل فلا رمل لها ولا اشجار .. وحيث مدرستي كنت تسير بيارات البرتقال لثمارها مذاق جميل ولازهارها رائحة عطرة .. وكان لنا في مدرستي بيت نعود بعد حر نهار طويل يرمي الاشجار الذي كان يحرس المدخل اشجار في مدرستي

عمري سبعة ولابي .. فانا الان في مدينة لها بحر يولد منه الشمس كل صباح ... تلك كان لي بحر تغيب الشمس فيه وهنا لها بحر منه الشمس تولد ... كان هناك لي بيت وارض ... وهنا لي بيت به ارض

وهناك كان لي ماض ، وكنت [illegible] ملك يحبه يومي ، وكنت ازرع احد زهور في عادتي ... فانا الان [illegible] ماض .. يومي بلا خفقة سوداء [illegible] [illegible] الى غد اسعد ولو ادا ان هنا بلا حدود ... بلا دعاء . بلا احساس ...

الكل شيئا ... اتجرع [illegible] مرارتي ..

في كل صباح كانت امنا الشمس [illegible] تخبر جمال الندى المرسوم على الراح [illegible] عرشي بعد ان تمسح اخر آثار الليل من ذرات الارض [illegible] لاشجار ... اصبح [illegible] [illegible]

[illegible] من عمر كنت حبلة بردها في يومي [illegible] [illegible] على [illegible] امي ... كنت [illegible] زهرة برتقال [illegible] عطاء واعد [illegible] شذي رائحته [illegible] كنت اتمنى وجه امي المجعد السمح للامع فارى فيه كل معاني الحب والحب والعطاء ... كنت احب وكنا نحبها ... كانت هي الاسعد ... ان نفسي كل صباح كما تفعل مع شقيقتي واخي احمد ، لكني [illegible] تقطف جبينها ثم قرنته [illegible] بحنو .

— انا ... [illegible] برعم زهرة [illegible] عطاء واعد [illegible] [illegible] [illegible] ... وانا لا ارى [illegible] [illegible] [illegible] بكرا [illegible] .. [illegible] الهرم [illegible] وحتى كل صباح ان تدخل [illegible] و[illegible] [illegible] .. [illegible] بكرا ... وبكرا [illegible] ...

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الطرق [illegible] [illegible] [illegible] وحرارة

و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كل [illegible] [illegible] [illegible]

كانت [illegible] [illegible] لافكار [illegible] كانت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كانت [illegible] [illegible] [illegible] اعتابك

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... كان كل ما [illegible] ان [illegible] [illegible] ... [illegible] واحمد [illegible] ابيت [illegible] [illegible] ... لكن يا حسرتي [illegible] [illegible] [illegible] .

[illegible] [illegible] اكبر شقيقتي [illegible] كانت لها كل ملامح امي

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible]

— [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] احتي آمال وتقطف حبات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

قصة

[illegible] [illegible] امي تناولها [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] [illegible] عن تناول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] اعتنا عطاء [illegible]

[illegible] كل فرد من عائلتي الى عمله ... [illegible] تبقى في البيت واحمد يركب دراجته متوجها الى مدرسته ، [illegible] من خلفه [illegible] [illegible] ان يركبها خلفه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى اذا ما كانت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وتتوجه هي [illegible] الى مدرستها .

كنت في تلك الايام اعمل مدرسا في المدرسة [illegible] الوحيدة في المدينة ، وكان لي طلاب كنت ارى [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .. [illegible] [illegible] وكانوا [illegible] .. وكان [illegible] [illegible] ان اروي [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] واخلاص .. [illegible] ارى فيهم كلهم اخي احمد ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] جهودي [illegible] ... كان كل ما حولك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكذلك كنت ... كنت اصبح [illegible] [illegible] وكنت اعلم ان هذا [illegible] [illegible] [illegible] اذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... بكلمة واحدة ... كنت سعيدا يا اخي [illegible] [illegible] لا حدود لها ... [illegible] واحد كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... [illegible] [illegible] [illegible] كانت تجلس على طرف سريري و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] ...

[illegible] الذي [illegible] [illegible]

ـ محمد ... هل ... هل انت سعيد الآن ..

ـ ما دمت كذلك

ـ شكرا يا اختي ... لكن اريد سعادتي [illegible] حين ارى لك زوجة.

ـ اشكرك يا راضية .. ولكن مهلا.

[illegible]

من هذه [illegible] مهلا ،

حتى تروح عشاق [illegible] امان . وحتى يكمل احمد دراسته الجامعية ..

كانت في البدء تسير في [illegible] في الفترة احدث [illegible] ذلك. تغادرني [illegible] مع رؤى حلوة عديدة ارى فيها [illegible] وامال وقد صميمها [illegible] زوجة [illegible] وارى احمد محاميا كبيرا وارى سلام [illegible] . يا ابوه ... وسعده امه ... كنت [illegible] حتى العظام ... وكذا كانت هي ... لكن الواقع كان يؤجج دوما لقاءنا [illegible] .. طلائع حلوة لابنة سلام كنت [illegible] على امل ان تكون ... [illegible] اللقاء [illegible] .. كان ان ازداد الواقع [illegible] واقع [illegible] ثم .. [illegible]

[illegible]

يائسا ... لكن [illegible] ... على الذهاب الى المدرسة لاحد [illegible] [illegible] ان [illegible] من طلاب [illegible] مقاعد [illegible] الغبار في [illegible] ان [illegible] .. [illegible] لاقع في [illegible] وجـراب [illegible] [illegible] في كل [illegible] [illegible] ... كانوا يريدون ان [illegible] الكلمة ... يكبتهم كانوا يعرفون [illegible] [illegible] على [illegible] ... واخيرا . واخيرا وبعد ان [illegible] الشمس في [illegible] قلبها ... قلبها وانا [illegible] لمغادرة المدينة .

وعادت [illegible] الارض الآنية [illegible] [illegible] وتعرست الحرب ... كان ثمة من اعمدة دخان ازرق ترتفع ملتوية في سماء مدينتي

... الطفلات عزن في سماء مدينتي ... وكانت سحب مدينتي قد [illegible] في بحر مدينتي [illegible] سوادا احـد يعرس الارض من حولي .. [illegible] على [illegible] امي [illegible]

ـ نحن [illegible] يا اختي .

كانت هناك تحت شجرة الجوافة [illegible] اغصانها .. تحدثت مع امي [illegible] . [illegible] [illegible] ... كانت اراقبه [illegible] هناك ... ترتفع وتطرب [illegible] الحرب ... كنت لا [illegible] الا السماء ... سماء [illegible] مجروحة [illegible] ... وكانت [illegible] لا زالت [illegible] ... [illegible] [illegible] ووددت ان اقول [illegible] اى شيء ... لكن لساني كان [illegible]

[illegible]

شجرة الجوافة ... وكان هذا آخر عهدنا بالجوافة [illegible] ... فمنذ ان غادرنا العـرب [illegible] الى شرق [illegible] [illegible] من الجوافة التي كنا ولا نزال نحب ... كان هناك [illegible] لا [illegible] الجوافة ..

ـ [illegible] ... الجوع يكاد [illegible]

ـ لا رغبة لدي في تناول الطعام.

ـ [illegible] لم تأكل شيئا منـذ الصباح !!

ـ اى صباح ؟!!

ـ صباح هذا اليوم .

ـ [illegible] ... وهل بـدا [illegible] انا لا اراه ... [illegible] ... لا اكاد اميزه عـن اى شيء [illegible] . الصبح يا اختي يغسـل السواد . [illegible] عن كل شيء ..

لكن هذا الذي تسميه صباحا لا يغسل

[illegible]

ـ [illegible] فيها شيء ... انا لا [illegible]

لا احبه ... [illegible] تود ان تقول من انا ... انا اعرف من انا ... انا مجرد قرمة حسب ... قرمة في كومة [illegible] كل حين ، تكاد [illegible] ... انا مجرد قرمة [illegible] على قارعة طريق ... تركها [illegible] [illegible] ... [illegible] مرتجفة [illegible] انداد [illegible] من [illegible] من [illegible] ... لا [illegible]

[illegible] الشيء في [illegible] [illegible] ان [illegible] طلامت .. [illegible] مهلا ... مهلا .. [illegible] [illegible] هذه الحكاية ... لا باس .. لا [illegible] ... فالدنيا حكاية .. [illegible] مرة ونعيش اخرى ... [illegible] الشرق [illegible] . [illegible] لشرق [illegible] لنا ... كل [illegible] الذي كان [illegible] المدينة التي كانت لنا .. [illegible] حديقة [illegible] وورودا [illegible] ... [illegible] لا زالت [illegible] لا زالت [illegible] [illegible] لتسمع مع الايام شجرة جوافة .. لكـن ارض الشرق لا [illegible] جوافة ... [illegible] الشرق لم يـزرع حتى اليوم ... الراضية لا زالت [illegible] .. [illegible] الرائحة [illegible] [illegible] ان غادرت [illegible] .. آمال ليها اسمها ، سلام ، احمد كما كنت اود له ان يكون ، محاما ارجو [illegible] ... [illegible] ... لا زلت اروى كل يوم حكايـة الحرب ... واغصان شجرة الجوافة [illegible] لحظة في [illegible] ... [illegible] لا زالت [illegible] على [illegible] كل [illegible] [illegible] ترزع ما يؤكل



جناح الحب

[illegible]

صرت مجنونا جديدا في دمي

[illegible]

دلك الماضي الذي يبكي به ... [illegible] الزهر ينداح

فؤاد الخشن

الخرافة .. اصولها ومصادرها

بقلم مبارك ابراهيم

* * *

تقول المعاجم العربية
الخرافة : الحديث الباطل . واصل ذلك ان رجلا عذرة يقال له « خرافة » زعموا ان الجن اختطفته ثم رجع الى قومه واخبر بما رأى منها فكذبوه حتى قالوا : « حديث خرافة » [illegible]

[illegible] ان الخرافة هي [illegible]

ويعرف معجم « لاروس » الفرنسي الخرافة بما خلاصته ان الخرافة هي الانحراف بالعقيدة الدينية انحرافا يحمل على ان ترتبط بالواجبات كاذبة . على انه [illegible] لا ينبغي ان تكون سببا للخوف . وهي التصديق بأشياء باطلة [illegible] ..

ويعرف بعض المعاجم الانجليزية [illegible]

الخرافة هي رهبة او الخوف [illegible] اسعى — من شيء مجهول او من [illegible] من شيء مستقبل . [illegible] والامور المقدسة ..

او انها الاعتقاد الديني المبني على [illegible] الجهل .. او انها معتقد يقوم على [illegible]

ويقول المفسرون بعدة ابحاث [illegible]

ان المصدر الحقيقي للخرافة [illegible] في الجدود الاولى للانسان وهو يقف [illegible] مظاهر الطبيعة وكذلك وهو يحاول تفسير وجوده [illegible] .. ان من مصادرها كذلك احساس الانسان بالحاجة الى استرضاء الاقدار . والى الرغبة في استجلاب السعد واليمن . وكذلك من مصادرها الرغبة في كشف المستور التي لا يستطيع الانسان [illegible] محاولته [illegible] لا يستطيع ما [illegible] . لتطلع الى كشف حجاب المستقبل ..

هذه المصادر كافية وحدها لان تجعل [illegible] ليس [illegible] [illegible] وتلك العادات التي لا تزال [illegible] وانه وان تكن تلك الخرافات بعضه قد خف مكانها في الامم الاكثر تحضرا الى صور من الاساطير [illegible] الاعتبار فان القوة الدافعة لحركة تلك العادات والاوهام لا تزال باقية ثم تحجبها التمدن والتعليم .

ان تفسير الانسان لعالم نفسه كان دائما [illegible] قدرته على فهم اسرار ذلك العالم في غير زيادة او نقصان . ومن اجل ذلك فان الخرافات تتمثل [illegible] دائما في صورة عادة سيكولوجية لها بعض القدر والقيمة .. واول علامة من علامات الخرافة واول امارة من اماراتها هو الجهل ..

ونضرب لذلك ثلاث حالات تمثل وقع الخرافة على ما بين تلك الحالات من فروق شاسعة .. واولى تلك الحالات : رجل من الصين عاش في القرن العاشر قبل ميلاد المسيح . كان يصنع امام [illegible] كتب [illegible] « محاولا ان يحدث عن المستقبل مستعينا في ذلك بالاشكال الهندسية ! والحالة الثانية : سيدة رومانية [illegible] له [illegible] اخرى تقوم على استنطاق الاشكال التي يحدثها [illegible] وهو يتساقط في [illegible] .. والحالة الثالثة : رجل من المتمرسين في سوق الاوراق المالية ، وهو يسعى جاهدا الى الوصول الى وسيلة تكشف له عما تخبؤه له القدر في صفقة [illegible] كبرى يريد ان يعقدها .. والعلة المباشرة لكل حالة من هذه الحالات تقوم على الرغبة في معرفة المستقبل . وما [illegible] الانسان [illegible] سوف يظل يركن الى الكهانة والخرافة لمعرفة [illegible] والى اختراع كهانات جديدة اكثر استمساكا بمفاهيم العقل ..

ويرى احد الباحثين ان تصرف المرء [illegible] يقوم على [illegible] طبيعية وعلى ادراك دلالات بحياته . ومن [illegible] اول عيده بالدين قد نسب روحا [illegible] شيء من الاشياء والمخلوقات : الى الحيوانات [illegible] ! والى الاشجار [illegible] النتائج التي ادركها يومئذ هي [illegible] . ولكنها [illegible] على ايه حال — هي [illegible] كل الشعوب منذ ذلك الحين [illegible] جيلا بعد جيل . وكلما السور المنيع [illegible] ان يسمح للاراء المختلفة بشئون [illegible] اكثر جدة والاقرب الى الواقع — [illegible] تسود وتنتشر .. وهذا الحكم ينسحب ايضا على الخرافات التي ما زالت سائدة الى اليوم . ومثل ذلك هذه المرأة المتحضرة التي . [illegible] من الزيارات الا اذا عقدت في [illegible] .. ومثل ذلك ايضا هذا الرجل الذي [illegible] التي جلس حولها ثلاثة عشر . وقد [illegible] . [illegible] منه العشر .. والسبب في كلتا الحالتين هو الجهل الموروث . وتلك المرأة وهذا الرجل هما [illegible] . مثلهما في ذلك مثل ذلك [illegible] الارواح الذي حاول ان [illegible] بواسطة القضبان من [illegible] .. ولا مشاحة في ان الجهل الذي [illegible] الجبن هو الحجر الذي فيه وحده تستطيع الخرافة ان [illegible] .. ومع الجبن يمشي الخوف جنبا الى جنب .. والخوف ضروبه واشكاله .. وبعض [illegible] الجبن ، وكذلك بعض اسباب الخوف هي من الامور [illegible] التي [illegible] ما يبررها .. فاذا رأيت انا محطة من محطات القوى الكهربائية ولم اكن اعرف شيئا عن اسرار [illegible] فاني اجد نفسي مجبرا على التزام جانب التحرز [illegible] في كل ما تمسه يداي . بل اجدني احمل كلتا

يدي ممثل عن تلك الاجهزة مخافة ان اركب خطأ تستتبع ضررا .. ومن ثم يتبين ان الخوف المعقول هو وليد المعرفة المعقولة بدواعي الخطر .. اما الخوف غير المعقول فهو الخوف الذي يشكل اسس الخرافات .. ولقد كان من سوء حظ الانسان في عصوره المتقادمة ان كانت له تجارب اكثر عددا واشد استعصاء على الفهم .. وكانت قدرته على تناول تلك التجارب بالتحليل قدرة الراهب العاجز .. فالزلزلة ظاهرة طبيعية في مقدورها ان تبعث الرعب في كل القلوب الا من عشم ربك من اصحاب القلوب التي لا تعرف الخوف . فلا عجب اذن ان يخترع العقل البدائي كل فكرة تحوم حول الارواح الشريرة . وان ينسب الى الكهوف والغيلان المظلمة انها تغص بالافاعي وبكل اعداء الجنس البشري التي تبعث الرعب في القلوب ..

وكذلك فان الرعود والبروق والرياح العاصفة . وكل الآفات التي تصيب الزروع . وكذلك ايضا نزول جوائح الامراض المجهولة السبب . وشتات اخرى من حادثات الشؤم كانت في نظر الانسان البدائي اكبر من كونها قوى طبيعية تعمل وفوق ما قدر لها .. بل كانت ظواهر ... يجب ان تسترضى .. وهذه هي النقطة الدالة على اهتمام العقل المنفعل بالخرافة .. ان كل [illegible] دائما الى استرضاء كل قوى الطبيعة [illegible] القوانين المنظمة او [illegible] الاسترضاء هي : الطقوس والسحر [illegible] تقوم على الانشاد والتضرع .. [illegible] الخوف ويولد عنهما احساس بالحصر [illegible] لعرفة المتعصبة ـ في دائما القدرة [illegible] للنجاة وخلق سبيل للخلاص .

ثم نجيء الآن الى اكثر الاسئلة صعوبة وهو : ما سر بقاء بعض الخرافات التي عاشت في الماضي . ولا تزال مسببة باسباب البقاء حتى اليوم ؟

ان اول اسباب بقاء الخرافة قد كانت دائما تحمل اسباب عدواها . وهي بذلك تسري من جيل الى جيل .. ومن الامور التي تبعث الابتسام ان يجيئك رجل يقول لك انه يؤمن بالسحر والسحرة مطلقا ايمانه بان في السحر بعض ما يحمل على التصديق . ثم يمضي فيقول : انه [illegible] في السحر شيئا طوال حياته بلغ منه منطقة الاقناع . ولكنه .. راى هؤلاء الذين راوا او سمع الذين راوا [illegible]

هذا القائل قد عاش في جو قد سرت فيه عدوى التصديق بالسحر فاستنشقها وسرت في خياشيمه وملأت [illegible] .. فاذا صح هذا الزعم فلا بد انه كان اكثر صحة في القرون الماضية .. ان وجود خرافة مماثلة في كل مكان ـ ولو مع اختلاف في الشكل ـ هو دلالة قوية على تمكن الخوف المعدي ..

ويقول احد الباحثين : ان اكثر الاشياء استعصاء على ان تقسم حدوده هو التخلص من مضار تصديق الخرافات . ذلك لاننا قد رضعنا هذه الخرافات مع لبن امهاتنا . ثم صاحبتنا ونحن نحبو ونمشي على الارض فنبتت وتأصلت جذورها وتركت بصمات لا تمحى واصبحت جزءا من نسيج بيئتنا فلا عجب اذن ان نرى الطبقات العليا من الناس مغتصبين بحبال تلك الخرافات طوال حياتهم ذلك ان عقولهم لم تؤت حظا من الاستنارة بنور التفكير الحر المنطلق . ومن اجل ذلك باتوا غير قادرين على نقد اي مجهود بناء يستطيع ... نطاق الخرافة .. ثم يمضي هذا الباحث فيقول : ان هناك عقلا يميل بفطرته الى تصديق الخرافة مهما عظم قسطه من العلم وزاد نصيبه من المعرفة . وهو يمثل لذلك بالدكتور جونسون الذي كان يؤمن بان شيئا من المقت سوف يحدث له اذا لم يلمس بيده كل عمود يمر به في الطريق ..

ومن ذلك ايضا ذلك الرجل الدي كان يحمل في جيبه حجرا من الاحجار كتعويذة تقيه شر وقوع المصائب من حريق او غرق .

قد يقتضينا سياق الحديث عن الخرافة ان نذكر [illegible] الخطر [illegible] تداعي المعاني .. واول ما يخطر [illegible] انه هو التنجيم .. ومن الجائز ان [illegible] لم يعم في العالم قوامه للخداع [illegible] ان نقال ايضا انه اول حدس [illegible] [illegible] . وقد البسه ممارسوه رداء [illegible] . ويقتضينا الانصاف ان نقول انه في [illegible] قد تطورت ابحاث التنجيم وارتقت الى [illegible] في عشرين من الملاحظة و[illegible] [illegible] وفي قضايا الاطفال كما دونت مواقع النجوم في يوم الميلاد .. وكذلك دونت حوادث الامراض الخطيرة ، ومراكز النجوم في ساعة التدوين .. وكذلك دونت في عناية ودقة حالات الزواج . وحادثات المشاكل في المال وفي الاهل .. ثم اخذ اللاحقون من المنجمين يقارنون ما دونوا اثباته هم بما وصل اليه من سبقوهم من المنجمين حتى اصبح لدى الناس كتب ضخمة تتحدث عن الغامض و[illegible] مما تكنه النجوم في اطوائها . وحتى لم يخل عصر من العصور من منجمه الذي يحدثنا حديث تلك النجوم .. ونحن اذا حكمنا على التنجيم من وجهة العلم قطعنا بانه حديث خرافة .. وهنا يجيء احد المتحمسين للتنجيم متسائلا : اذا كان الامر كما تقولون فما الذي كتب له البقاء . ولماذا لم يدركه الفناء كغيره من الخرافات التي اندثرت . اوليس بقاؤه شهادة له بانه يرتكز على دعامات من الحقائق ؟ والجواب : ان بقاء التنجيم هو شهادة البقاء لحقيقة تتعلق بطبيعة البشر . فالناس يكادون يكونون جميعا قدريين .. وقل لي بحقك : من ذا الذي يتردد اذا سمع منجما يقول له : نستطيع ان نعرف مستقبلك لقاء خمسة قروش ؟

والمصدق بالمنجمين يتجنب ركوب البحر اذا كان المريخ في وسط السماء ، وذلك مخافة ان يقوم المريخ — وهو رمز لاله الحرب — بتحريض قراصنة البحر .

والمصدق بالتنجيم لا يستهين شيئا من الاعشاب الا اذا كان قد جمعه في ساعة معينة يوحي بها نجم من النجوم .. وهو يتوقى كل عرافة من امراض بأن يتخذ خاتما من الجواهر رسمت عليه صورة كوكب من الكواكب .

وهذه الصور التي كانت شائعة في العصور السالفة لها امثالها في عصرنا الحديث . لا في الشرق وحده بل كذلك في الغرب . فان سيدات لندن ، وخاصة من كن يحببن الحفلات ، يتخذن خواتم ... ان اولئك السيدات لا يبدأن سفرا من اسفارهن قبل ان يستشرن ، كما يستشرن المنجم ، فيه يحددن الاوقات المناسبة والمواسم المستحسنة للقيام بالزيارات والرحلات . وهن يستشرن ، ويعلمن ان ... اذا كانت النجوم في صورة عالية !

ان فضول الناس ورغبتهم الملحة في الكشف عن حجب المستقبل لا ... يوم كان العقل الانساني في مطلع نموه . ويوم كانت قلوب الناس ... العصور .. تبدي الرغبة ... دون ما يجيء به الغد

وقد عقد العلامة ابن خلدون ... عنوانه « فصل في ابطال صناعة ... وفساد غايتها » قال فيه : هذه ... انهم يعرفون بها الكائنات في عالم ... اهل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها ... مفردة ومجتمعة فتكون لذلك ... والمتقدمون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة . وهو امر تقصر الاعمار كلها لو اجتمعت — عن تحصيله ، اذ التجربة انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم او الظن . وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره الى آماد وأحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من اعمار العالم . وربما ذهب ضعفاء منهم الى ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي وهو رأي فائل . وقد كفونا مؤنة ابطاله . ومن اوضح الادلة فيه ان تعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابعد الناس عن الصنائع وانهم لا يتعرضون للاخبار عن الغيب الا ان يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة ويشيرون بذلك لتابعيهم من الخلق . انتهى كلام ابن خلدون

وبعد فانا ذاكرون خرافة او خرافتين نسدلا بهما كتابه

خاتم الزواج : لما كان شكل الخاتم مستديرا فقد قصد بخاتم الزواج ان يكون الحب المتبادل بين الزوجين ، والرد الذي يقبض به قلباهما في شكل الدائرة التي لا يدرى اين طرفاها والتي لا ثغرة فيها . والتي لا تنفصم عراها ، ومن ثم ... حبهما مرتبطا باقيا الى الابد وسوف يظل كلاهما ... صاحبه مكين .

القطط السود : القطط السود عند المصدقين بالخرافات جالبة للنحس ... وهي خرافة عرفت في الزمان القديم وهي لا تزال ... الى اليوم .. ويشترط ان تكون القطة سوداء حالكة السواد دون ان يخالط سوادها شائبة من اي لون آخر حتى وان تكن هذه الشائبة شعرة واحدة .. ويقال ان سيدة معاصرة ... عكسيا اخر ... وقالت : ... امامي ان لم تكن سوداء كاملة السواد وكان سوادها ... عيب الاحكام البالغ .

... حوله القطط السود في عهد احد الملوك ... كان ... رؤية قطة سوداء في اليوم الذي ... يوم مشرق . ... وقد كان المصريون ... هذه الخرافة في الزمان القديم

القاهرة
مبارك ابراهيم

يا يده

اديب وليم صعب

ترى اي صوت يلجلج في وراي السماء ؟
ويطرحني في البعيد البعيد ، ويحمسني ... دار
ترى اي صوت ، رنين المشي ودفء ...
وفي خلجاتي بعث الحياة

اذا مر فوق الدروب توسع احناءها وتصبح الدروب
وتفرق فيه العيون ويهفو اليه القلوب
اسائل عنه الاعاصير ، اي الكهوف كهوفه ؟
واي الطيوف الرواني طيوفه ؟
عميق الصدى ، يتزلزل منه
سؤال وكنه ،
اعوص عليه ، اقلب دنياي ، اوغل في كل حكر ووكر ،
وفي كل صدر وخفقة صدر
اسائل عنه ...

ملات الزوال بقاء ، ملأت الوجود احتمالا ،
ففي لعتي صارت الشمس لغزا فصار المدى والحياة سؤالا .

وها انذا في طوافي ابصر سفر الحياة ، بريق التجلي
اقلب اوراقه ، فلعلي
افتحه وافض ختومه ،
وتولد في كماني النشيد ، وتبعث في الحياة الحميمة

٢

يد الله انت ، يد الله انت ...
وفي تفجت ، ثم احتجبت ،
كانك انت دمي وتوالي ،
عبرت الدروب ولم تعبري ،
وفتشت عنك ولم تظهري
سوى لمحة في مجاهل دابي ...
يد الله ، عزي ندى ، حركي ،
وضمي اندفاق المواسم فيها ،
وكوني التجدد في كماني ...

٣

يد الله ، يا نهرا يتدفق من فجوات الكوى الازلية ،
ويهدل فوق الحصى ، ويسلس انغامه الحالمات الندية
تحوم عليه رفوف الحمائم ، بعضها سغف واعتراف ،
ويأوي اليه عطاش العصافير ، يأوي الجراف
ويعطي ، ويعطي ، فلا صدره يغيض ، ولا دفق الخير باء ،
فتجرف السمك اعواده الجهم ، تعطي وندرك معنى العطاء

٤

... الله ... يمسح عن البراعم ... المبادر ،
... العواصر
... الراب ... يعلو ويطر
... يهطل ...
... كبر العطاء ، و...
... ولا ...

٥

يد الله ، يا صاعقا يتفجر وينقض فوق الثرى ويزمجر ،
يقلع ما ساخ منه وباء ، يهدم اطلاله ويعمر ...
ترى من يمشي ، ترى من تعصف !
اذا عاصفت المدلهمات عصف ...
ومن سمم العمر واستسلما ؛
ومن شرع الصدر الى مصير يلوح ، وقطر فيه الدما ؟

٦

تحرر كنت اسميت نهرا وحقلا وصاعقة الملوات ،
وانت المتجرة النير والحقل ، انت المتحرة الصاعقات
احسك في داخلي ابصرا
فضيع مداها ...
وانطر بي صلوعي ، ... اراها وآونة لا أراها .
واربط فيك خيوط الصبر ، انا ، واسميك أعوار نفسي ،
...

٧

عروقك ، مدى العروق الصلبة ، من عمق اي مدى تتفجر ؟
وما يتوثب فيها ، وكيف يثور ، وما نابض يتمدد ؟
الا ضربه من تعاديرها تحت هذا الزمان المحجر ،
وتيمف فيه الدم المتجدد ، نبضه قوة لا تقهر ...

٨

يد الله ، ما شكل هذا الوجود اذا لم تكن لتجليك شكلا ؟
وما لونه وهو ليس انعكاسك ؟ ما لونه ، يا يد الله ، اصلا ...
تضمنه بالحنايا ، تلمين ما يتساقط منه وتبلى ،
وتحضرين ، وتنكرين ، وتستبدلين الوجود باحلى

٩

جبلت العالم المختلي احادث ذاته
ليسمو نحو ذراك ، ليولد ثبت ، ليبلغ قلب نواته ...

يد الله ، يا لوجه تمش فيها الزمن علقات [illegible]
وفوق ما حن فمه وشل حقاه وعقل اعماق [illegible] .
ترامى اليك الزمان حسيف العروق ، منهوك
ولم تقصيه ...
نرى كيف نحنا ، واعماقه مفككه ، وحماه [illegible]
هل ذاب فيه تحول انا الزمن المحروب ..
ولم ادبانه العثرات ، وكاد سعثرها وسوب .
وقبل وحد هذا الزمان الشريد الشتيت

١١

يد الله ، يا ممطلا في ضلوعي تشذب ما هرأته ضلوعي ،
فتنبض فيها احمرار الحقول وهمس الندى وشبث الربيع
هززن ، يا عصفات الرجاء ، على مصفاي ، فاستكر ،
ولولا مرورك لا اعالى ولا استنير ولا ابصر –
ورحماك ، لو ما سحت بي ، ظللت سرب الخطى ، عاشا ...
يد الله ، يا يومي الثالثا ...

١٢

تبرياه ، خطوي وطيفك ، هذا السديم ، وآماده وقفاره ،
وما عاد بيني وبينك نكهن حبل الدعارة ، جبل الحجارة –
وها انذا اتلمس وجهي مليا ، وانفض عنه غباره ،
واسلخ عنه الدمى المستعارة

١٣

يد الله ، كيف توجهت الفلك فيَّ ، وكيف تطلعت ، دوني ...
اذا كنت فوق يدي لا اخاف ، ولا ظلمات الرؤى تعتريني .
وجودك يحرسني [illegible]
ويبعد عني الزمان البغي ،
ويبعد عني طيفنا شجي الخطى وثني ...
فيا يده ، يا اكتشاف المصير ، ويا ضربه الخالق العبقري ،
لئن غاب عني فجر الفجور ، فقد صرت لي كل فجر سني .
وفتحت فيَّ انتفاض العطاء ، وشرعت رحب السماوات فيَّ ...
ويرتعش الكون آن امر على راحتيه صدى ودوى .

١٤

يد الله ، لي انت بي ، ادركت طنوبي ، وحمر قبلك يقيني ،
لا صبري انت لا سيء نسي ، لا صبرني ...
وفوق اعتلاء الذرى شرعتني
جمالا واعتنه تلجب فيها جنوني –
فلا ، لا اريد جمال الوجود اذا لم تكوني

١٥

يد الله ، رحماك ، اني تعثرت ابصرت دورك يتهوى نحوي ...
يد الله ، يا يده ، يا ملاذا يضم ويؤوي ...

١٦

[illegible] ، يا سكر هذا الوجود الذي لا بعيه ،
[illegible] روح الالوهة فيه ..
[illegible]
[illegible] الكون ، مغلق
[illegible] انك ، يا [illegible] ،
[illegible] الغيبوب
يد الله ، يا سده الخالفه ،
يد الله ، يا حجر الزاوية ...
يد الله ، يا لهيبا شرنـب
وتخطر فيه الدنى وتحب .
يد الله ، يا زمنا يستجد
يد الله ، يا قوة لا تحد ...
يد الله ، يا عاصفا من لهيب ،
يد الله ، يا سده ، لا تغيبي ..

١٧

يد الله ، لي انت لي ، سكبت جودك وجهي ، وقد ذراك التفاتي ...
ساليه منشا في هواك ، وشت فيك دمي وصلاتي .
وفيك تحقق اني احب واسك انت غدي وحياتي ...
فيا نظراتي ما تشد ابن كامس ، وما بعد يا خطواتي ،
موحدة في عد انت ، حنو الاسارير ، مختلج القسمات ...
اجيء الثواني ، وابتعثها كحياتي ، وتفرح بي كلماتي –
اسائلها ابن انت ، وانت متفجرة في ينابيع ذاتي ...

أديب وليم صعب



محمد رجب البيومي

نشأة الملاحم العربية في الأندلس

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

كان ... [illegible] ... رواه ... [illegible]

عرف وان ... في ... [illegible]

والاجير ... [illegible]

ستهن وقفت ... [illegible]

الآراء العلمية حول هذه الأواخر ... [illegible]

... .

عند ... العلماء ... علماء ... [illegible]

[illegible]

« ... في ابحاثه ... ان ... الملاحم كان ... المسلمة . وان ... من ادباء الاندلس في عهد الاسلام قد وضعوا اسس هذا النوع من الادب ... عنه ... وبالتالي الى ... بعض السبق في الابتكار .

وقد نقل الدكتور حسين مؤنس بعض آراء هذا ابحاثه الى العربية ، مع التعقيب عليها تعقيبا ... يرضي الذين لا يعرفون ... و ... في ... ان يلموا بأقوال هذا المستشرق الجليل . وكان مما ... الدكتور مؤنس :

« لاحظ ريبيرا ان المسلمين في الاندلس عرفوا الشعر القصصي وشعر الملاحم منذ زمن مبكر جدا ، فقد ذكرت المراجع مثلا ان تمام بن علقمة من كبار رجال البلاط الاموي في عهد عبد الرحمن الداخل ، وابنه هشام كتب ... وصف فيها فتح المسلمين للاندلس وقدوم عبد الرحمن الداخل ، و... لامارة الاموية في قرطبة ... ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد قصيدة ... في ... بعض الامراء ... ونحن وان ... من هذه الملاحم ... على جميع ... الملاحم ... موجود ... الا ان ... الاشارة ... ان المسلمين عرفوا هذا النوع من الشعر ... » .

... الاستاذ ريبيرا مدلول الملاحم على معنى واسع ، ... في الشعر ... ذلك ... في الاناشيد ... التي ... بالفتح العربي للاندلس . وفي ... التي كانت تردد باللغة الدارجة بين ... الاندلس ... ذلك ... من الاراجيز المتوسطة ...

[illegible]

... من البطولة والفروسية ... الخوارق في المعارك ...

... العديدة حين ... الميدان ...

... يرجع الى تاريخ ابن القوطية ... من غرائب الخوارق عن ...

[illegible]

... لا يوجد عند غيره من المسلمين ، ... الاسلامية قد تحدث عن ... وفروسية العرب وسماحتهم في ... الطويلة ... ووضع ... كما صوره ...

[illegible]

... ومثله ... الحمد .

والذي يعنينا من ذلك كله هو بدء الملاحم الشعرية ... في التراث الاندلسي ، وكيف كان الاديب العربي صاحب هذه البدرة التي انتقلت منه الى غيره ... ملاحم ... في ... الادب ... كما يجزم ريبيرا ... الكبير !

* * *

يستنكر بعض الباحثين ان يكون في الادب العربي ملحمة ما ، والدهشة ... بلا ريب حين تطرق في آذانهم كلمة

ملحمة الى الياذة هوميروس ! وكأنهم يقولون في قرارة نفوسهم اما ان تكون الملحمة كملاحم اليونان والا فلا . وهم يشترطون فيها بناء على هذا التصور :

ان تشتمل على حوادث خارجة عن المألوف . بحيث يكون ابطالها مردة او انصاف آلهة . وقد يكون آلهة احيانا يتقاسمون المعركة ، ويتحزبون فريقا مع فريق وقد يكون شخصيات خرافية لا وجود لها على الاطلاق . فاذا نواصفت الملحمة فهي مزيج من ابطال حقيقيين وآخرين من نسج الخيال .

وهذا الشرط ابدى اوجه الشاعر اليونان . يقف حائلا دون الاعتراف بملاحم كثيرة . فالكوميديا المقدسة منظومة الشاعر الايطالي العظيم دانتي تصف الجحيم وسكانه وما به من اهوال تصف الوجدان ... وتعرج على الاعراف ... مكان التطهير والاستعداد بين الجحيم والفردوس . وابطالها اناس ... حقيقة ... اخبارهم . ويصحبه دانتي ... اللاتين في ... الشاعر الروماني فرجيل ، وحبيبته ... بياتريس ... التي الهمته ... بل اوحت له بهذا الاثر ... والكوميديا ... محمد هوميروس !

وكذلك يقال في ملاحم ... اريوستو ، والفردوس المفقود ... [illegible] ... فالاولى تصف المعارك التي ... والوثنيين ... تتحدث عن انتصار ... وطابعها ديني كطابع دانتي في ... [illegible]

من ... مستمدة مصادرها من الكتاب المقدس مع ... هذه ... احساس الشاعر الكبير ! فاذا ... ان ... دانتي واريوستو ... من الملاحم ... ذلك ... الاعتراف ... من ... اسحق ... على ... استطراد ... والمعجزة ... والتي ... [illegible] ... ابطال ... الشاعر ... محدود ... ولو ... ان نقصر الملحمة على ... فلماذا لا نفعل ذلك بالاحساس [illegible]

... [illegible] ... يصدرون ... ولكنهم ... وانما يتأثرون تأثرا وقتيا بما يسمعون فيصدرون احكامهم . ويكون كثرة الاصوات وقلتها هي عامل النصرة والادانة دون نظر الى حجاج او برهان ! على ذلك ... الخطب اليونانية التي انتقلت الينا من اشباه بركليس ، وديموستينيس !! وطبيعي انها بذلك تختلف عن خطب ... في الشرق والغرب ! ونحن نعرف مدى اشتهار الخطابة لدى العرب في العهد الجاهلي وما يليه ! فلا مناسبة اطلاقا بين قس بن ساعدة ... واكثم بن صيفي ، وما نعرفه من خطب اليونانيين ! وقد اعترف الكاتبون بخطب العرب دون ان يقيسوها بخطب اليونان ! فلماذا لا نعترف بملاحم العرب وتدعى ... تشرق عما نعرفه من ملاحم هوميروس !! وكيف ينبغي الامر في عمومنا لدى الحديث عن الملاحم العربية بالـذات !

ان من اخطر الاشياء ان ... الى احكام عائمة لا تعتمد على برهان صحيح ... قول الفيلسوف الفرنسي ارنست رينان ان العقل السامي عقل جزئي لا يصدر عنه اثر كلي ... منذ ... ذلك القول الجريء ونحن نرفض ... ملاحم العرب لان الملحمة موضوع كلي لا ... عقل سامي !!

وقد اثبت الكشوف الحديثة بطريقة لا تقبل الشك ... لحكم المغرض . وكان اكتشاف الملحمة السامية مثل الملاحم الاغريقية اول معول في هدم هذه الشبهات !! ولن نبعد كثيرا عن موضوعنا حين نستطرد الى ذلك فنقول : ... ان سكان العراق وبابل واشور ... جزيرة العرب في موجات متلاحقة ... ثم عرب ساميون . وقد ... ١٨٤٣ بوساطة ... [illegible] ... هذه ... مكتبة ... اشور ... الواح ... ملحمة جلجامش ... تتحدث عن ... الانسانية حتى غدا مرهوبا مخيف ... وسوحه الى جبال لبنان ... عمالقة ... الخالد ... الملحمة في جو اسطوري ... تتحدث عن ... الحب والخصب والوفيعة . [illegible]

الذي ... لتدمر ... ويعيد ... ويبعث [illegible] ... الملحمة مما يعمر في هذا النطاق ، ويكفي ... الى انها ملحمة عربية سامية ! تنقض نظرية التفكير الجزئي التي [illegible]

... مصدر الهام لهوميروس لا سيما والتشابه واضح بين الملحمتين يتطلب من يحصيه بالتفصيل !!

ان الملاحم ... دائما في عهود الطفولة العقلية لدى الامم . اذ تحاول الشعوب الفطرية في سذاجتها البدائية ان تحلل ما تعجز عن تعليله من ظواهر الكون فتلجأ الى

الخرافات ، ثم تسلسل هذه الخرافات حتى تكون قصصاً غريبة تكون شبيهة بملاحم منزلية !! وقد كان العرب في الجاهلية ملاحمهم دون نزاع لأن أمة تسكن الصحراء وتتحدث عن الغول والعنقاء ، وتعتقد شعراؤها بشياطينها في أعماق الفلوات . كأنما شعراً وغيره ... لا بد أن تكون لها ملاحم طويلة ، لا سيما وغزوات [illegible] [illegible] ، وأيام العرب الحربية لا تحصى !

وقد يتساءل سائل ماذا لم نعثر على هذه الملاحم كما عثرت على إلياذة هوميروس مثلاً . وتعليل ذلك عسير أراه [illegible] وأكاد أعتقد أنه على [illegible] من السنوات أن أغلب الشعر الجاهلي من ملاحمه قد ساهم في [illegible] الأشعار نسبياً إلى [illegible] حتى كونت جوانب كبيرة من الإلياذة . وجاء [illegible] توحد هذا التراث الكبير [illegible] وتبع بعضه الى مصر ، أما اشتداد الشعر اتجاهه على [illegible] [illegible] حال دون [illegible] هذه الأشعار الى ملحمة [illegible] ، فاذا كانت [illegible] كمرجعه [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] كثير من شاعر قد قال في كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن يجمع الشعر [illegible] في ملحمة [illegible] وحدة القافية [illegible] [illegible] والالتحام ، ولا كذلك [illegible] الشعر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المشرق [illegible] [illegible] اذ قام به شعري [illegible] !

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] شعر الوقائع في الجاهلية والإسلام [illegible] [illegible] الأندلسي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهو ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الملحمة ، ومصدرها الأول [illegible] المشرق العربي [illegible] [illegible] الإمام به في هذا [illegible] !

* * *

قد ذكر العلامة [illegible] شاعراً كبيراً هو تمام بن [illegible] [illegible] أرجوزة [illegible] ، والمصادر الأندلسية لا [illegible] [illegible] عن هذا الشاعر ولا عن الملحمة ، وانما تذكر انه [illegible] في سنة ٢٨٢ هـ ، وهذا الوعد يوقعنا في تساؤل [illegible] ، لأن ابو العمر [illegible] العباسي قد توفي سنة ١٩٦ هـ اي بعد ما يقرب من ثلاثة عشر عاماً من وفاة تمام وكما نعرف أن ابن المعتز هو أول من نظم الأراجيز التاريخية في الأدب العربي ولكن لدينا الآن ما يوجب أن تكون أرجوزة تمام سابقة له ! لأن ابن المعتز نظم أرجوزته في سيرة الخليفة العباسي المعتضد ، وذكر فيها وقائعه مما يشعر أنها كتبت بعد موت الخليفة سنة ٢٨٩ ، وإذن فقد تأخرت أرجوزة ابن المعتز عن أرجوزة تمام لا محالة ، ولكن من [illegible] لنا أن نجزم باستنادنا الى

[illegible] ومحاكاة ابن المعتز لها ؟

[illegible] الى [illegible] لا نستطيع الجزم بذلك عن يقين ، فقد يكون ابن المعتز [illegible] [illegible] أرجوزة تمام ، وقد تكون أرجوزة [illegible] المعتضد من [illegible] توارد الخواطر ، يدل على ذلك أن ابن المعتز كان كثير النظم في الأراجيز ذات القافية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . وهو ما لم يعهد للأندلسي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالمعتضد [illegible] عليه [illegible] [illegible] الى أن [illegible] [illegible] [illegible] التعبير عن جميع [illegible] [illegible] لا [illegible] لها تكافؤ [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من غرائب [illegible] ودقيق [illegible] [illegible] أرجوزة تمام [illegible] [illegible] المشرق والأخير [illegible] [illegible] المعتز [illegible] [illegible] كتب المشارقة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] لا اشارات [illegible] في كتب الأندلس ما [illegible] [illegible] الأسباني [illegible] ... فاذا كان ابن المعتز قد [illegible] على نظم [illegible] ذات [illegible] المزدوجة في غير باب التاريخ كقوله [illegible] [illegible] في منظومته ذم الصبوح

الا ترى البستان كيف نورا ..	ونشر المنثور زهراً أصفرا
[illegible] [illegible] [illegible] الشقائق	واعتنق القطر اعتناق وامق
[illegible] [illegible] [illegible]	وحرم كهامة الطاووس
[illegible] [illegible] [illegible]	[illegible] تطلع العقبان
[illegible] [illegible]	قد استمد العشق من ترب ند
[illegible] [illegible] [illegible]	وجدول كالمبرد المحلى
[illegible] [illegible] [illegible]	كقطن قد مسه بعض ابلل
[illegible] [illegible] الأسر	[illegible] كهامة الشماس
[illegible] [illegible] الحد	او مثل اعراف ديوك الهند

[illegible] [illegible] انه نظم أرجوزته في المعتضد [illegible] [illegible] شاعر لا يعلو عنه مشرقي [illegible] [illegible] [illegible] المعتضد [illegible] لم تتفق بمرهفات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هنا افتتاحيا لتكون تمهيدا لحديثنا الآتي عن أرجوزة ابن عبد ربه ، لأن لدينا بعض ما [illegible] [illegible] [illegible] الكبير . قال ابن المعتز في مطلع أرجوزته

باسم الإله الملك الرحمن	ذي العز والقدرة والسلطان
الحمد لله على آلائه	احمده والحمد من نعمائه
ابدع خلقا لم يكن فكان	واظهر الحجة والبيان
وجعل الخاتم للنبوة	[illegible] ذا الشفاعة المرجوة
الصادق المهذب المطهرا	صلى عليه ربنا فأكثرا
مضى وأبقى لبني العباس	ميراث ملك ثابت الأساس
برغم كل حاسد بغيه	[illegible] كأسه [illegible]
هذا كتاب سير الإمام	مهذبا من جوهر الكلام
أعني أبا العباس خير الخلق	للملك قول عالم بالحق
قام بأمر الملك لما ضاعا	وكان نهبا للورى مشاعا

فأنت ترى هذا النظم شبيها بقول العلماء لا بابداع الشعراء ، وهو الى أن يحقق بعيون المعاجم أقرب من أن [illegible]

الى جوهر الادب اللباب . ونحن لا نظلم ابن المعتز بهذا الحكم فللشاعر بحليقاته السابقة في اجزاء اخرى غير هذه الارجوزة . ولكنا نظلم ابن عبد ربه الشاعر الاندلسي ظلما فادحا حين نجر حكمنا على ارجوزة ابن المعتز الى ارجوزته الملحمية البديعة وهذا ما وقع فيه كثير من الكتاب .

فالدكتور احمد هيكل . على حبه لابن عبد ربه . ومقاومة آراء من يغضون من قيمته الشعرية . قد حكم على ارجوزته التاريخية حكما قاسيا حين قال في كتابه الادب الاندلسي ص ٢٥٧ .

« وكما عرف ابن عبد ربه بالمقطعات عرف كذلك بارجوزته في الخليفة عبد الرحمن الناصر . بيد ان الارجوزة ليس فيها شيء من الخلقة [illegible] وانما هي في تلك الارجوزة اشبه ما تكون بالمنظومات التاريخية . [illegible] عناصر الشعر شيء ذو قيمة [illegible] الاتصاف بالشاعر والشعر [illegible] الا في براءة [illegible] ! »

هذا حكم الدكتور هيكل ! ولكننا نقرأ ارجوزة ابن عبد ربه فنجدها رائدة في فنها الملحمي . لانها لم تسلك مسلك [illegible] المتنبي حين [illegible] حقائق التاريخ على طريقة [illegible] . بل كتب [illegible] الشعرية [illegible]

[illegible] لا [illegible] في [illegible] [illegible]

ـ ان [illegible] مع الخيال في احوائه [illegible]

[illegible] في جو من التصوير والايحاء [illegible]

من ناشىء [illegible] في مدارج الطفولة [illegible]

وادي [illegible] حين نراه لا [illegible]

للتصوير [illegible] . فالملحمة اولا [illegible]

[illegible] ، وثانيا تميل الى ناحية [illegible]

ناحية المؤرخ ، وهو ما [illegible] على [illegible]

[illegible] الادب [illegible] ابن عبد ربه [illegible] ازدحام [illegible]

[illegible] الناصر فلا [illegible] على ذلك في حكمه [illegible]

[illegible] ولكنه [illegible] الارض [illegible]

[illegible] في عشواء [illegible] . واخذتهم الصيحة حتى [illegible]

[illegible] ، [illegible] في اوقات [illegible]

[illegible] ! وكل ذلك [illegible] العاصفة [illegible]

[illegible]

هذا على حين طمى النفاق واستفحل النكاث والراق
وضاقت الارض على سكانها وأذكت الحرب لظى نيرانها
ونحن في عشواء مدلهمة وظلمة ما مثلها من ظلمة
تاخذنا الصيحة كل يوم غما نلقى [illegible] شوم
وقد نصلي العيد بالبواتر مخافة من العدو الثائر
حتى أتانا الغوث من صاء [illegible] من الارض والسماء
خليفة الله الذي اصطفاه على جميع الخلق واجتباه

وهو [illegible] الى عرينه [illegible] لم يقتصب اقتصاب ابن المعتز . ولم [illegible] بالوصف اخلاق عبد الجبار رعيته [illegible] وسنعرض له ـ ولكنه شاعر [illegible] يجر [illegible] على اوراق [illegible] فلا يتعجل ! وهو بعد في معركة حمية تهب بالشر وتعج بالدماء . فالطحان مقبلا الفرنجة [illegible] . غراب [illegible] حديقة يظنانها باب النجاة [illegible] حديقة الموت . [illegible] فيصبح ممغلا . [illegible] لم [illegible] السيوف وسقط [illegible] الصخور . [illegible] له [illegible] تنوشه [illegible]
والنسور وكم [illegible] من حزور

[illegible] الكفر مع الاغتصاب واجتمعوا من سائر البلاد
فاصطرخوا في سفح طود عال وصففوا لشيمة القتال
فبادرت [illegible] [illegible] في [illegible] المسومة
وردها [illegible] ببرود [illegible] عقلهم [illegible]
فانهزم [illegible] في [illegible] ولبسوا ثوبا من العجاج
كلاهما [illegible] حينا خلفه [illegible] يرى في كل وجه حتفه
والسيف في آثارهم واسمر والقتل ماض فيهم والاسر
فلم يكن للناس من براح [illegible] الرؤوس في الرماح
فقصدوا الجمهور لما هزموا وعاشوا فؤادهم [illegible]
فدخلوا حديقة للموت اذ طمعوا في حصنها بالفوت
فيا لها حديقة [illegible] واتت بهم نفوسهم آجالها
[illegible] اذ عاينوا الاهوالا [illegible] كان لهم [illegible]
وصخرة كانت عليهم [illegible] وانقلبوا منها الى جهنما
[illegible] يستطعمون الماء فخرجت ارواحهم ظماء
فكم [illegible] من حرور في مادب [illegible] والنسور

[illegible] الملحمة روح الشعر ! واذا [illegible] [illegible] وانا [illegible] نرى فيها من الرهبات [illegible] شاعر [illegible] . فهو [illegible] عن [illegible] المعركة في دقة لم [illegible] بخياله [illegible] وخشب مصلوب في مدينة مع [illegible] في [illegible] لا تبرح . [illegible] مباشرا للشمس والرياح [illegible] وتحدر اصحابه من سوء مصيره [illegible] وخشب للناس [illegible] [illegible] والتهود [illegible] ! كل ذلك [illegible] ابن عبد ربه فيقول في ابداع

هو الذي [illegible] مقام الضيغم وجال في [illegible] باصيلم
براس جالوت النفاق والحسد من جمع الخنزير فيه والاسد
[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] بالسدة
قد [illegible] لا يبرح [illegible]
[illegible] . ان يعرضا انكسار [illegible]
[illegible] السوار [illegible] في كليهما [illegible]
مباشرا [illegible] والرياح على جواد غير ذي جماح
يقول للخاطر بالطريق [illegible] ناصح شفيق
هذا مقام خادم الشيطان [illegible] خليفة الرحمن
فما رأينا واعظا لا ينطق اصدق منه في الذي لا يصدق(١)

ان [illegible] الدكتور هيكل حين يرى انه [illegible] بالمنظومات التاريخية وهي الى [illegible] التاريخي [illegible] الى [illegible] . وسبقه استاذنا الدكتور احمد امين الى حكم قريب من حكمه [illegible] حين يرى بالجزء الثالث

---

(١) وهي بعد قطعة من خشب اذا انكسرت عالجها النجار لا [illegible] ! ارايت ابدع من هذا !

من ظهر الإسلام ص ١١٩ ان الارجوزة اشبه ما تكون بالتاريخ المنظوم ليس فيها خيال ولا ابتكار ولا شيء من ذلك !!

ثم يقرن بين عبد ربه وابي طالب عبد الجبار فيرى ص ١٢١ ان ارجوزة ابي طالب اقرب الى الملحمة من ارجوزة ابن عبد ربه ! وهذا ما اعجب له كثيرا ..

فقد عاش ابو طالب عبد الجبار في عصري ملوك الطوائف والمرابطين واشتهر بالشعر حتى عرف كما يقول ابن بسام بمتنبي الغرب وهو وصف سارعه فيه الرمادي وابن هانيء وابن دراج فكل هؤلاء لدى مواطنيهم يتنبئون ابا الطيب ! وقد نظم ملحمة تاريخية متأثرا بسابقه ابن عبد ربه دون نزاع حيث ان الارجوزة مدونة بالعقد ، وهو من الشهرة بالأندلس والمشرق بما مكانه يوجب على ابي طالب واضرابه ان يردوا منهله ! ومع انا من ناحية الكم نقارب ملحمة ابن عبد ربه الا ان هناك فرقا اصيلا بين الملحمتين فصاحب العقد الفريد قد اختص التاريخ بملحمته فلم يركض في غير ميدانه وبذلك اتسع المجال امامه للوصف البارع والاجادة اللافتة ، ولكن عبد الجبار بدأ ارجوزته بالتحميد والتسبيح وتعرض الى ما سماه مقدمات من ادلة المعرفة والاستدلال على الصانع بما لي من الصنعة وهو حديث لا يتصل بالشعر بسبب بل هو بمتن الجبر ...

في علم التوحيد اشبه ، كأن يقول

وقبل ما يقول اهل الحق	من [illegible]
وادوات الحس يا من يفحص	عن [illegible]
السمع والابصار ثم اللمس	والشم [illegible]

ثم انتقل الى باب التفكر في [illegible] والافلاك والعناصر الاربعة حسب [illegible] هذه الحكمة ودر [illegible] فلم [illegible] وهابين فاذا قال ما عندة انتهى [illegible] الى الخلفاء الراشدين فخلفاء الدولة الاموية ثم ولينا من رجال الدولة العباسية حتى اذا ذكر ما شاء الله ان يذكر من اسماء الخلفاء والوزراء والاشيار والكتاب تعرض الى الدولة الاموية بالاندلس ورتبها الى الحديث عن الفتنة الاولى بقرطبة ثم ملوك الطوائف بعد ذهاب دولة ابن عامر وامراء الجماعة بقرطبة ثم دولة المرابطين الى عهد علي بن يوسف بن تاشفين بما له من جيد حافل ذهب في غير طائل ثم تخلله ومشيه شاعرية او محة ادبية ! بل اصبح لقول الصادق بذكرنا الغساني ابن مالك وجلال الدين السرطي وابن معطي . ومع ذلك يقول استاذنا الدكتور احمد امين رحمه الله ان ارجوزة ابي طالب اقرب الى الملحمة من ارجوزة ابن عبد ربه . يخيل الي ان الاستاذ رحمه الله حاول ان يقول العكس فسبق نسيه ، والا فهو من الفطنة والبصيرة والذوق بحيث لا يصدر عنه هذا الراي في سقطة مستغربة ! مهما يكن من شيء فقد ذكر ابن بسام ارجوزة ابي طالب بالقسم الثاني من المجلد الاول كما ذكر ابن عبد ربه ملحمته بالعقد فليرجع اليهما من يريد الموازنة عن عيان !

على ان هناك ارجوزة ملحمية اخرى لشاعر الاندلسي يحيى بن الحكم الملقب بالغزال وكان شاعرا مطبوعا يشبه ابي نواس في اسلوبه ونزعته الى التجديد ، ويقوم بالسفارة السياسية بين ملوك العرب والروم ، وقد اشار المقري في النفح الى هذه الارجوزة وذكر ابياتا منها ! وان رجوزة اربعة آلاف في تاريخ الاندلس شيء غير مشكلات لا نعرف عنها شيئا ، وهو مما يؤيد الاستاذ [illegible] (ريبيرا) في شيوع هذا اللون عند العرب من الملاحم واشعاره ثم في تأثيره فيما بعد في الادبين الاسباني والفرنسي معا .

وكان من المحتمل ان ينتشر هذا اللون في المشرق والمغرب معا على ان تكون الاندلس بدايته الاولى دون شك ، ولكن عوقه التحجر بعد زوال الاندلس ، وتمثل المحاكاة في شعر [illegible] وما وليه من عهود الانحطاط في الادب العربي قد قضى على هذا الاحتمال ، حتى جاءت النهضة الحديثة ، واحس الشعراء في واسط القرن العشرين بشرور الاستعمار الغربي ومحاولته الجاهدة في اخماد الروح العربية والاسلامية معا ، وكان حاضر الدول العربية مكتظا من الاحتلال والسيطرة الاجنبية مما يدعو الشعراء [illegible] بالامجاد العربية الاسلامية القديمة كي يوقظوا [illegible] في النفوس ! فانطلق شعراء هذه [illegible] الاسلام وابطال العرب ، فحدث حافظ [illegible] اسمه [illegible]

[illegible]	الى الى ساحة الفاروق اهديها
[illegible]	للمقتدى من الاسلام علي بن ابي طالب

[illegible]	ونيل جمع النجوم له مراما
[illegible]	نفسي في مجرها وشاما

وتحدث [illegible] المصري عن ابي بكر الصديق [illegible]

الستي انا بكر عليهم قوافيا	وامطر لساني حكمة ومعانيا
ولي رسول الله لا تجز ذلتي	اذا لم اكن فيه بقولي باديا

وكانت هذه القصائد الحماسية واشباهها تلقى في حفلات عامة فتحظى بما الحت من اعجاب المصريين ، وقد راس تعضيها جمع شعراء عصر اسماعيل صبري وليس من البديع ان يذكر ان الشاعر البدوي محمد عبد المطلب انشد قصيدة في حفل دائري بالجامعة وكان يركب جملا ويرتدي عقالا بدويا ولابس عربيا ، ويقود زمام مطية به عربيان ممثلان احدهما عبد الستار الباسل عضو الشيوخ ، مما يشير حنين المتفوقين الى امجاد العرب ، وذكريات الاسلام .

اما شوقي ، فقد القى بدلوه في الدلاء ، ونظم ارجوزته المعروفة (دول العرب وملوك الاسلام) سنة ١٩١٩ ، وقد احتذى فيها على سنن ابن عبد ربه مما يشعر باحتذائه المتبع " ولا ادرى لماذا اكتفى شوقي في ملحمته التاريخية بالسرد التاريخي وحده ، وهو قادر على ان يبعث من روحه الشاعرة ما يجعل ارجوزته جديرة باسمه !! لقد كان لشوقي من ثقافته الغربية في فرنسا ما يدعوه الى ان يفهم

[illegible]

حمى نساء . ودراع وصي .. — ما الذي يسري بي خي المساء ؟
شي حسس صه اسوق . ما — حلاه في طريه ذات الرجاء !
كيف اسيح .. روحي ترحه — والآن اخضع اسداء المساء
حنف اهابي على شطب — بعدت لا يدب ورا الصباء
ما خلف خطوي ؟ اسى ، احلم بي — حطوي ! وما احبه اسداء .

لصحو ارحي . اى لون ارى . — لقصب سرع الماوراء .

بـرد

حر برد فر [illegible] عن دخان [illegible] حاحت ... كان برماد
لموت ! [illegible] لا [illegible] بكماد
لناس ! [illegible] السؤال
وضع [illegible] الصعاب
... وحد [illegible] حران !
سا هنا [illegible] الطل

[illegible]

حلب — على الزيبق

من الملحمة غير ما فهمه ابن عبد ربه ! ولكنه تحدى الشاعر الاندلسي غير عابيء بما يستحسن عنه الدراسات الادبية من حروب ناقدة تحدد صنعه الشاعر باسارج . وترى من اسلوبه المحددث شيئا اخر غير السرد المتتابع ، والحكاية المتبعة " بل ان من الغريب ان تكون ارجوزة ابن عبد ربه اوفى شاعرية من ارجوزة شوقي ! ونحن نذكر منها نموذجا يعبر عن احسنها واوفاها اذ يتحدث شوقي عن وداع عبد الله ابن الزبير لامه قبل مصرعه ! ومع ان الموقف عاطفي مؤثر يقتضي من الشاعر ان يبعث حرارة مسهبة في قراءته الا ان شوقي

وضاق عبد الله عن عبد الملك — ورامه الوفاء في الخطب الحلك
فجاء امه ومن كامه — لعلها تحمل بعض همه !
فقال ما ترين ؟ فالامر لك — للموت امضي ام لعبد الملك
فقالت اذا كنت لحق ثرتا — فلا تخالف ما اليه سرتا
او كانت الدنيا فمارى همتك — فيئس انت ؛ كم دم سفكته
الحق باحرار مضوا قد احسنوا — فالموت من ذل الحياة احسن

ولا تقل عنت ووهن من صحبي — فليس ذا فعل الشريف الابي
اب الى الحق دعوت صحبكا — فالقي كما قضوا عليه نحبكا
ولا تقل ان مت مثلوا بي — وطاف اهل الشام بالمصلوب
عجبت ما للسلخ بالشاة الم — ورب جدع فيه للحق علم !

ما المصدر الكبير الذي يمكن ان يذكر في هذا الموقف باسناد واحد فهو الاستاذ احمد محرم اذ نظم المواقع الاسلامية الاولى على عهد الرسول في الياذة صادقة التعبير رصينة الاجزاء ، وقد كتب الله على نبيه فيضت محاولته لحيرة تطبع البلاده والاحتفال بذكراه ، وهي الياذه قوية يحفظت بدرة الملاحم الاندلسية عن دوحتها المورقة ، ولبعض الناقدين ملاحظات على طريقتها ! ولكنها مع ذلك ابداع ملحمي فريد في الادب العربي ! وهو تطور طبيعي لخطوة ابن عبد ربه واضرابه ، فيما يذكر في هذا الباب مشيرا الى بعض الراي المدبر بين السابقين واللاحقين !

الفيوم — دار المعلمات — محمد رجب البيومي

شرفة في القمر

[illegible]

بغداد



[illegible]

واحصِ الثواني والدقائق
واسمع كشحاذ صداها
واضرب وقسم محتواها
[illegible]

وامضِ امضِ .. سر .. انطلق
وارسم خطك هنا .. وثم
واسألني عم
انا حين احتار من [illegible]
[illegible]
مما جمعت من [illegible] والدقائق
من [illegible]
[illegible]

[illegible] ترابيم دفينه
[illegible] من حياتك او
[illegible]
[illegible] نفسي عن حبيبه
ما كل ما نهوى بظل العمر يمنحنا بريقه
كل شيء له طريقه
كل يحاول أن يحرر نفسه ويعض ضيقه
[illegible]

مهما بحثت عن الشبابيك الصغيره
في الليل .. في وادي النجوم
من شرفة لك في القمر
[illegible]
ونغوص يوما بعد يوم
في .. ما يسمى بالضجر
في ذلك المستنقع اللزج الغبي المنكر
ويظل منك صدى يهمهم في الوجوم
ولا أثر
قد عاش اياما هنا ———
واندثر



يوسف عز الدين الكاتب المفكر

يكشف تصفحنا الادب العربي المعاصر [illegible] صفي على كتابنا ومفكرينا [illegible] لامة العربية اعلام كثيرون [illegible] واساعا . وفي العراق برز [illegible] شاعرية يوسف عز الدين [illegible] وعندي ان [illegible] يوسف عز الدين « مفكر عربي » [illegible] بالشعر جانب من جوانبه . وقد حاول [illegible] عباس الصالحي [illegible] الجوانب . جانب المفكر والناقد والصحفي .

[illegible] « الشعر العراقي الحديث [illegible] والاجتماعية فيه » . وكتابه شعر العراق الاجتماعي والتحقيق العلمي [illegible] دراسته لمخطوطة « شعر الاخرس » والجانب الصحفي [illegible] على مجلة الكتاب ومجلة « الاقلام » .

[illegible] الدكتور يوسف عز الدين [illegible] الايام [illegible] شاعر ولكنها حياة مفكر عربي مكافح . [illegible] بين القاهرة ولندن وبغداد [illegible] الحركة الوطنية العربية مؤمنا بها . [illegible] في الاصل [illegible] العراق [illegible] العربية [illegible] الوحدة والحرية .

وفي خلال اقامته بالقاهرة حيث [illegible] كان مرتبطا بالمعاني الوطنية [illegible] النيل والفرات والقاهرة وبغداد فلما [illegible] الى لندن لاعداد اطروحته عاش كطالب عربي في العاصمة البريطانية .

[illegible] الانكليز [illegible] المجلس العسكري [illegible] السجن [illegible] تحقيق الوحدة العربية .

[illegible] شعره [illegible] وجداني والعاطفي [illegible] في عديد من قصائده . [illegible] حرية [illegible] على الاستعمار [illegible] العراق [illegible] العربي [illegible] ذلك في [illegible] « الجلاء » وفي قصيدته عن [illegible] من الحرار .

[illegible] يوسف عز الدين [illegible] بهذا الايمان الصادق [illegible] وهو المدرس الذي يعمل في احدى قرى العراق [illegible] الى ارقى الدرجات [illegible] . [illegible] مركز [illegible] في الجامعة [illegible] بالمجمع العلمي [illegible] وجمعية المؤلفين والكتاب [illegible] في هذا الطريق الطويل [illegible] في [illegible] حزم امره واحتمل [illegible] القرار .

[illegible] الاجنبية [illegible] جميعا [illegible] . [illegible] ذلك [illegible] « المدرسة [illegible] » [illegible] شخصيتنا العربية [illegible] العربية الاسلامية [illegible] رسالة الادب العربي [illegible] واضحا . [illegible] الرسالة [illegible] الادب [illegible] الامة [illegible] عن [illegible] والحضارة لانه الصدى [illegible] هذه الامة [illegible] التفسية [illegible] الفكرية .

[illegible] الادب العربي [illegible] تطور مع [illegible] في اسلوبه [illegible] . [illegible] هادف [illegible] العربي [illegible] ومشكلاته .

[illegible] هذا التطور [illegible] واضحا [illegible] الامة العربية [illegible] قوى الاستعمار [illegible] احلامها [illegible] بكل [illegible] .

[illegible] يوسف عز الدين كيف استطاع الادب العربي المعاصر ان [illegible] الفكرة الاوروبية التي [illegible] « الفن للفن » . وكيف [illegible] مؤمن [illegible] رسالة الادب هي [illegible] الشعب العربي والتعبير عن [illegible] الضرورية [illegible] الشعب [illegible] الادب [illegible] الخلاق [illegible] الفكرية [illegible] في مشكلات الامة بكل

كيانه . ومن هنا اخذ الاديب يخرج من برجه العاجي الى تصوير صادق لحاجات الحياة وهو يرى ان الادب الخالد يتسم بالدرجة الاولى على عمق التعبير وسعة الافق والموهبة الخلاقة . وان رسم الشخصية المعاصرة بصدق وتصويرها بامانة وعمق وتفسير اتجاهاتها النفسية الحية تفسيرا صحيحا يكسب الادب الخلود . ويرى ان الكاتب العربي هو ذلك الذي يملك العقيدة الجبارة على سبيل الحديد الذي يمر بحياته [illegible] التي تفسر الانسان العربي [illegible] عميقة [illegible] مكونها في واقعه .

وهو يدعو الادب العربي لان [illegible] راسخ الاشكال [illegible] ويطالب [illegible] ادب الاطفال [illegible] لهم [illegible] الحاضر العربي وحتى [illegible] حياتهم بالامل [illegible] المشرق . [illegible] الغد [illegible] لا [illegible] ان النقد في بلادنا [illegible] المآسي التي تهدد [illegible] بالحقد [illegible] اصابنا من [illegible] من احداث وما اصابنا من خداع [illegible] واضطهاد [illegible] لن تقدر على [illegible] الا [illegible] من اجل ذلك يرى انه على النقاد المحدثين دراسة مشكلات الادب الحديث [illegible] ولا يطغى [illegible] الحديث في سبيل ازدهار [illegible] المعاصرة . [illegible] العرب [illegible] عندي » .

ورسالة الادب عنده لا تقف عند [illegible] الذهبية [illegible] بل عليه ان [illegible] ويحمي الثورة الفكرية بدراسة كل [illegible] امتنا ومجتمعنا العربي . وعلى الادب ان يحارب الظلم والاستعمار في مختلف [illegible] العربي لان [illegible] فردي يقضي على الروح [illegible] التي لا [illegible] لا [illegible] والحرية . [illegible] الا بالحرية [illegible] في مجتمع [illegible] ولا [illegible] الادب العربي [illegible] كان له من [illegible] في الحياة بفكره [illegible] والادب لان العربي [illegible] بطبعه يكره عبادة الافراد ولا [illegible] الشخصيات . لان عبادة الشخصيات ليست طبيعة العرب انما جاءتهم من العادات الاجنبية

والحضارات العربية » .

وليس اصدق دليل من اصالة الروح الوطنية للمفكر العربي في يوسف عز الدين من فرصة رسالته عن المعاني الوطنية في الشعر [illegible] يحمل وطنه و[illegible] على عمله [illegible] . [illegible] هذا من اكبر اعماله في مجال الفكر [illegible] صور [illegible] الى هذا العمل حيث بدأ يراجع الصحف العراقية من صدورها [illegible] قاعدته الاولى في البحث [illegible] لا يتغير [illegible] احسست سياسة الحكومة [illegible] وجهة جديدة . ثم سافر الى [illegible] [illegible] اعيان بعض هذه الجرائد [illegible]

وكنت خلال عملي في تفحص الجرائد [illegible] دورية [illegible] وكبرهم ومغمورهم والمشهور [illegible] واعرف [illegible] – كما [illegible] اعلانات [illegible] في الجرائد والمجلات [illegible] على [illegible] في العراق [illegible] تركيا [illegible] في مكتبات [illegible] .

وذهبت الى باريس [illegible] في المكتبة الوطنية ومكتبة [illegible] في انكلترا [illegible] في مكتبة المتحف البريطاني » . [illegible] ان اتم هذا الجهد الضخم في [illegible] الوطني [illegible] الكتابة باللغة [illegible] جهدا عميق الاثر [illegible] [illegible] وصوله الى [illegible] والفهم [illegible] من عميق [illegible] [illegible] الانجليزية . فقد كانت الترجمة [illegible] لا [illegible] نقل احاسيس [illegible] ان احافظ على الذوق [illegible] ان [illegible] حرفيا [illegible] واضعت [illegible] المعاني . وكان [illegible] على [illegible] [illegible] والمحسنات [illegible] الاخرى [illegible] [illegible] . واخيرا [illegible] الطريقين [illegible] لي [illegible] [illegible] . .

[illegible] الى اي مدى كان [illegible] فقد تعرض الى [illegible] الاقطاع والفقر والمرض والجهل . و[illegible] الاستعمار [illegible] الحاكمين [illegible] . و[illegible] البحث الى جامعة انجليزية [illegible] وطنه [illegible] » وانا عربي وابحث مشكلات وطني [illegible] [illegible] مصيري [illegible] . [illegible] ان اترك هذا البحث وان لا [illegible] الى هذه المشكلات وان اخفف من حقيقتها ولكني [illegible] الا المضي في الطريق السليم وابراز الحقائق » . .

وكان هذا منه غاية الشجاعة الادبية في مجال الفكر .

وهكذا تتكشف صورة طالما اغفى عنها الباحثون ، هي صورة يوسف عز الدين « الكاتب المفكر » بعد ان شغل الناس طويلا بشخصية « الشاعر » .

القاهرة

انور الجندي

الشيخ خليل الخالدي

بقلم البدوي الملثم

* * *

ولد في بيت المقدس عام ١٨٦٣ وكني «ابا الوفاء» الخالدي المخزومي [illegible] . [illegible] في الازهر واغترف منه كثيراً . ومن شيوخه [illegible] الشيخ [illegible] الازهر

وذهب الخالدي الى الاستانة و[illegible] في [illegible] قضاء و[illegible] الوظائف [illegible] في تدقيق المؤلفات والمصاحف . وولي قضاء حلب سنة ١٣٩ [illegible] ـ ١٣٢١ هـ ، ١٩٠١ ـ ١٩٠٣ م [illegible] كتبه من [illegible] وكبار [illegible] طلاب [illegible] والعكوف الى حلقي الآباء والاحفاد [illegible]

وولع الشيخ خليل بالرحلات [illegible] في هذا المضمار الى حد [illegible] الى العالم العربي والاسلامي [illegible] الكتب القائمة في العواصم الاسلامية [illegible] ووقف على ما في [illegible] الخزائن [illegible] مخطوطة وآثار [illegible] الشيخ [illegible] كل انه اصبح [illegible] الاسلامي [illegible] الاسلامي [illegible] في الكتب والمدونات و[illegible] بالمكتبات والكراريس والمخطوطات . فكنت اذا سألته سؤالاً عن كتاب من الكتب [illegible] تراه [illegible] وكبيراً [illegible] . [illegible] قليلاً الى الوراء [illegible] وعينه [illegible] احد [illegible] ان [illegible] الكتاب [illegible] منه نسخة في [illegible] كذا .. وهي [illegible] او غير [illegible] . ويوجد منه نسخة اخرى في الاستانة او القاهرة او القيروان او [illegible] او دمشق او العراق او المدينة المنورة او غيرها من الاماكن .

[illegible] ذلك الشيخ [illegible] عند هذا الحد من [illegible] الى [illegible] ذلك الكتاب . واذا كان [illegible] الواحد [illegible] على العرف بين [illegible] كل ذلك [illegible] وكلام [illegible] اعجابا واكبارا

وكان الشيخ الخالدي ، رحمه الله ، يذهب الى اكثر من هذا الحد ، فقد كان يدلي برأيه في ان الكتب الفلاني يجب ان يطبع وينشر لان [illegible] الكتاب الفلاني هي

[illegible] باستفصيل حتى لا يترك شاردة او [illegible] .

ومن دواعي [illegible] ان الشيخ الخالدي كان [illegible] هذه [illegible] عن ظهر قلب عفو الخاطر . ومن [illegible] لا [illegible] الا [illegible] من العلم والاحوال . وهذا [illegible] الاصمعي والانفس في [illegible] العلماء [illegible] الشيخ خليل

وكان [illegible] ، رحمه الله ، ان يحضر اي مكان هو [illegible] مجالس العلم والمذاكرة . وهو يذكرنا بكثير من [illegible] الذين كانوا يعقدون حلقات العلم في الاندية [illegible] وفي الطرق وفي كل مكان .

[illegible] العادي ، لا يقف [illegible] في [illegible] . لم يعلك [illegible] الاصمعي كان يعطي معظم دروسه . ويسر الطلاب [illegible] في بيوت [illegible] ومنازلهم في القاهرة ؟

[illegible] الاسلام الصحيح ، [illegible] او عقيدة [illegible] واخرة علمت كذلك ان [illegible] الاسلام ملاصق للعقيدة الاسلامية [illegible] . [illegible] مثالا [illegible] كاملا لرجل [illegible] اذا [illegible] وجسمه في [illegible] وصدرا [illegible] الابواب . [illegible] ، [illegible] بالمسلمين من سائر

[illegible] الرسالة [illegible] علماء اسلاميا [illegible] على غرار العلماء [illegible] الذين [illegible] الكتب [illegible] ونترجم لها [illegible] واشارت الى [illegible] وشغفهم به [illegible] . [illegible] العلم الذي [illegible] من امانة كبرى .

ولكن [illegible] الشيخ خليل الخالدي غير محصور ولا مقيد . وانما كانت العلوم التي [illegible] للعرب والمسلمين جميعا !

وولع الشيخ خليل بالاندلس . وكان ولعه بها شيئا عجيبا . فقد رحل اليها رحلتين كانت الثانية في عام ١٩٢٢ . ووقف [illegible] مساجدها وجوامعها وعلى رأس [illegible] العربي . و[illegible] آثارها . واستقصى اخبارها . [illegible] من هذه الرحلة اهدى [illegible] وهو [illegible] في الاندلس المضاعة .

وبعد ان طوف هذا الشيخ الجليل بالبلاد العربية والاقطار الاسلامية واسبانيا عاد الى بيت المقدس واستقر [illegible] محكمة الاستئناف الشرعية ، واشرف على ترتيب المكتبة الخالدية ، في باب

بين عامين

[illegible]

زحله ـ لبنان — رياض معلوف

السلسلة . فاستقر في بلده واستبد ... اخاه الى رفوفها .

اما مكتبته الخاصة فتضم كتبا نفيسة ومخطوطات نادرة لا تزال محفوظة في بيته الكائن بالقرب من درج المولوية . خارج الركن الشمالي الغربي من الحرم الشريف .

واشتهر الشيخ الخالدي بخطه البديع الذي تحسبه لاول وهلة رقا مطبوعا لجماله ودقته . ولا ريب احتفظ ببعض رسائله من اوراقي التي نجت من عبث العابثين ابان الحرب الفلسطينية .

وفي عام ١٩٤١ عاد الشيخ حسن الى القاهرة . حاضرة علماء السلف الصالح الذين رفعوا الحضارة الاسلامية جيلا فجيلا . وعمرنا تقريبا ؟ وتوفي رحمه الله في شهر رمضان المبارك من ذلك العام فخسر به العالمان العربي والاسلامي عالما موسوعيا فذا . وربح التاريخ اسمه . وهو من دون شك عالم جليل من كبار علماء المسلمين .

... ؛ وترك الشيخ الخالدي طائفة من المؤلفات ...

١ ـ الاعتبارات الخاصة في الادب نحو ٣٠ كراسا
٢ ـ حدود اصول الفقه
٣ ـ رحلتي الى بلاد المغرب والاندلس .

وقال احمد بن محمد الهواري في كتابه « معجم التشريع » ان للشيخ الخالدي مذكرة في نحو خمسين جزءا جاء فيها على ذكر الكتب والمكتبات التي رآها .

عمان — البدوي الملثم

أم البنين الفهرية

بقلم ناجية ثامر

من المعلوم ان اول اسرة حكمت البلاد الافريقية وتمتعت باستقلالها الداخلي بعد الفتح الاسلامي هي دولة الاغالبة — وقد استطاع رئيس هذه الدولة ومؤسسها ابراهيم بن الاغلب التميمي ان يستقل عن الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد ، فترك له الخليفة العباسي تصريف الامور ، لما عرف عنه من الشجاعة والحنكة والدهاء وحسن التدبير

وعرفت الاسر العربية التي حكمت افريقيا ، فكان همّ امرائها ان يعمروا البلاد ويحموا الثغور ، ويعرفوا [illegible] التي تهم الاهلين جميعا ، وهي التبشير بالمساواة ودين الحق والاسلام . وكان الناس اذ ذاك نهبا للاحقاد والقتال في مناحر [illegible] تكاد تقوم قائمة لاحداها حتى تناهضها الاخرى وتمعن فيها . وكان الافراد والجماعات يعيشون في ذعر شديد ، لا يعرفون [illegible] [illegible] يعيشون العيش المقيم [illegible]

.. فجعلت ابراهيم بن الاغلب [illegible] واحد يقوم على نشر الامن والامان [illegible] الناس [illegible] افريقيا [illegible] جديدة ، واتخذ مكانه مسارا على [illegible] [illegible] وجودها بعد ان عاشت في [illegible] في عصور الرومان الذين كانوا [illegible] التي تحكموها وسحقوا [illegible] [illegible] الاوثان .

وتوطد الحكم بني الاغلب وامتد سلطانهم على افريقيا الشمالية ، وجزائر البحر الابيض المتوسط وانبسط من الجزائر الى طرابلس الغرب . وبدأت هذه الدولة الافريقية العربية تصعد بسرعة الى اوج المجد والازدهار .. واخذ كل فرد من الافراد يحس بوجوده وشخصيته ، بعد ان ذاق من النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم وآمن برسالته ... أليس هو الذي نادى بانه لا فضل لعجمي على عربي الا بالتقوى . فقضى بذلك قضاء مبرما على التفريق بين العناصر ، ومنع التمييز بين الطبقات ولم يعد لاي فرد الا ان يباهي بتقواه وحسن عمله ...

فلا امل ولا عز المركز ولا عراقة الاحساب التي كانت توضع في المقام الاول بين الطبقات وتميز بين عنصر وعنصر ، وتسمح للابيض بامتهان الاسود والنظر اليه كما ينظر للحيوان الذي يشترى بالمال ويباع في الاسواق . ويضرب ويهان بدون خشية ولا عقاب ...

هذه التقاليد المجحفة قضى عليها الاسلام قضاء مبرما . وصار لاي مسلم كان في اية ناحية من نواحي الارض ان يرفع صوته حين يكون على حق في وجه اعظم الناس . يعبر عن رأيه ويجاهر بحقه الذي اصبح يتمتع به

وكانت هناك دولة عربية اخرى تحاول هي ايضا ان تستقل بالحكم في المغرب الاقصى ، وهي دولة الادارسة العلويين . وبذلك كان الشمال الافريقي منقسما قسمين . قسم يمتد من طرابلس الغرب وتحكمه اسرة الاغالبة ، والقسم الثاني ينحصر في المغرب الاقصى برئاسة الامير ادريس [illegible] وفي عهد هذا الامير اخذت وفود العرب ترد على بلاد المغرب من الاندلس والشرق ، وخاصة من القيروان ، التي كانت تمثل الوفود العربية ، واخذت تعرف هذه الوفود وتتوزع في شمال افريقيا كلها . وكان الامير ادريس يرحب بهذه الوفود المتقاطرة ويكرمهم اكراما عظيما [illegible] في تعزيز ملكه . [illegible] وسع من اكرامه [illegible] ان اسس مدينة اخرى لتكون مركز ملكه وخاصة [illegible] . وهي مدينة فاس . [illegible] ضاقت العاصمة الاولى [illegible] الوفود الواردة من القيروان والاندلس ، [illegible] عربية [illegible] .

[illegible] العاصمة الجديدة [illegible] يفصل بينهما نهر [illegible] ويسمى القسم الاول [illegible] القرويين [illegible] القيروان منها ، ودعا القسم الثاني [illegible] [illegible] الواردة من البلاد [illegible] القرويين وبنى قصره [illegible] الجديدة محاطة بسور ضخم ، [illegible] والاسواق والقصور والبساتين . [illegible] الى المغرب الاقصى ، وكان [illegible] ابرزها هو محمد الفهري ، واسمه [illegible] ام البنين فهي كنية لها .

[illegible] في عدوة القرويين واشتهرت بالتقوى والاصلاح والعلم والادب ، وبروحها العالية ، ولكنها [illegible] بعد حين [illegible] مالا وفيرا صرفت على انفاقه في وجوه البر والاحسان ، واعتمدت بناء جامع يتسع في عدوة القرويين ، الذي لا يزال موجودا حتى الان ، وهو جامع القرويين الشهير ، الذي اصبح اكبر كلية عربية في البلاد [illegible] .

اشترت ام البنين ارضا واسعة قرب منزلها وارادت ان لا تخلط [illegible] ابناء الا من الارض التي اشترتها بمالها الحلال . فحفرت [illegible] لاستخراج الرمل الاصفر والحجر [illegible] ، وحفرت اسسا عميقة في الارض . فجاء المسجد محكم البناء فسيح الارجاء [illegible] رونق وبهاء . وجعلت في صحنه [illegible] . وصامت من اليوم الذي بدىء فيه بناء المسجد الى ان [illegible] ، فكانت اول من دخل المسجد للصلاة وشكر الخالق على نعمه .

واصبحت ام البنين [illegible] لا تنى عن عمل الخير ومعاونة المساكين . وكان بناؤها للمسجد حافزا لغيرها على [illegible] من الاثرياء واكابر الرجال ، ولم يجعل

تأملية رقم ٧

هذا القرب العاري الصدر
الرحالة السائرة على الدروب
تعلـو عتمته أبـدا
على جفون الآفاق المحمرة
كنـا نعدو هذا القريب
لاشواك الصلبة التي على الدروب
والاسلاك المسننة على الجنبات
والقرصنات التي تسد المفارق
تمتـص زهر الربيع

الحب المحفور على أوراق الخريف
الأزهار الملونة الأعناق
الأرض المحروقة
والنهر الملطخ بالأوحال
في أودية ائامة متحجرة لحد التشوه
انطوا الكائنات المثلى
يا من يحملني أفراحه ... نفسي ...
كم نعدو مقربا

هذا العدو المدبغ لحن حياة لا تصحو !
ن الفرح المدفون في أعماق هذا القريب
تكمي أسمع كل أحزان الحلاق
منـذ ابتداء المحسوس
...
... مع الجهل
... مع القهر
مع الصبـاح
فالأوتار المشدودة التي لا تذوب
في التي تعرف تشد حواشي الممل
وهي ... بعد ...
ستشدو في حزن لآخرين
فـرح الوجود
شـدا الغريـب
...
...
... الحياة

زكريا كايا

ويذكر التاريخ أنه كانت لفاطمة ... بنت ... مريم ، ... ام البنين ، ... مسجدا في عدوة الاندلس وبعدت التي في فاس مسجدان ... ، احدهما في عدوة ... والآخر في عدوة ... من مال الاختين فاطمة ومريم التي ... القيرواني .

... من ... تعيش ... وترث المال الذي ... ذكرنا عمل مفيد ، وذلك بانشاء مسجد ... الصلاة ...

وهذا برهان على ان المرأة كانت تعاطى شتى الاعمال ، وتحكم في كثير من الامور ، وكان ذلك في مطلع ازدهار الدولة الاسلامية ، وكان العلم منتشرا بين جميع الطبقات ، وخاصة في الطبقات ... ، وكان المسلمون ... عمر ... ، واقامة صرح الاسلام على اسس قوية ...

... تعمل ... ، وتدخل الاستعمار ... على المبادىء السامية التي تعمل في النفوس ... الارواح ، لا يفكرون الا بانفسهم ، ولا ... الا على ملذاتهم الدنيوية ، ولم يعودوا يتحملون التعب والجهد ليعيشوا ...

... حد الاولاد ... يتقدمون للامام ، ... الخاصة ... ... حتى ... ، وظهر الحق وبان .. وعاد الاسلام ... ، ... الحق في ... ، ويعطي لكل مجتهد ...

... ولا ... ، ولا ... ولا الوان .. ... وتفرق واحقاد .. فكل من عمل واجتهد ... يتقدم للامام وان يكون من ... الاقدام ... ولا ... الا ... ، ... الى الوراء ، ... المتقدمة ... الاقدام ... ولا ... اذ ذاك ... ولا نسب ولا حسب ، ولا ... الا ... من ... ..

والكثيرون ... جزاءهم في هذه الدنيا قبل الآخرة ، والتاريخ ... الا ... المجتهدين الذين ... مصلحة الامة قبل مصلحة انفسهم ، لا فرق في ذلك بين ذكر وانثى ..

تونس — **ناجية ثامر**

سفينة نوح

بقلم مارتن ترنل

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

«حينما كنت صغيرا جدا كنت لا احد في الكتاب المقدس كله شخصية اشكى حظا وأتعس مصيرا من نوح لأن الطوفان جعله سجينا في السفينة اربعين يوما . ثم ان المرض ما برح ان اخذ بتلابيبي اياما [illegible] استطاع حتى اضطررت انا نفسي ان ابقى في السفينة . وعندئذ فهمت ان نوح لم ير العالم احسن مما رآه من السفينة ، على الرغم من كونها كانت مقفلة واظلام سود الارض» بروست (المسرات والايام) .

ولد مارسيل بروست في باريس في العاشر من تموز سنة ١٨٧١ وهو اكبر ابنين لوالديه . انحدرت والدته من اسرة كاثوليكية رفيعة متوسطة الحال . فكان الدكتور ادريان بروست اول واحد من الاسرة ترك مسقط راسه [illegible] ابيه ، بحثا عن نصيبه من السعادة [illegible] جراحا يشار له بالبنان . [illegible] اسرة [illegible] البورجوازية الغنية .

كتبت مدام دي غراموف من الكاتب [illegible] عن هذا الكاتب الصغير ان [illegible] لا يبين وروح الكتاب المقدس [illegible] من جهة والدته [illegible] واكبر الظن [illegible] دورا حاسما في تكوين شخصيته [illegible] والده اسمه شعوره بفرنسا المأثورة [illegible] يضفي على قصصه طابع القوة والتماسك ، واستمد من والدته حساسيته العصبية الرهيفة النادرة وربما اهتمامه بالشؤون التي تخص القبائل والجمعيات

وعلى الرغم من اختلاف الرأي بين بروست ظل لصيقا بوالديه ولم يترك دارهما الا بعد وفاة والدته سنة ١٩٠٥ بعد سنتين من وفاة والده . وعلى اي حال ، كان [illegible] في جوهره — ابن امه ، كما كان اخوه روبير ابن ابيه . وتبين سيرته هو التأثير البارز في القصة ترمتها . سئل ذات مرة في الرابعة عشرة من عمره هذا السؤال : «ما رأيك في التعاسة ؟» ، فاجاب : «التعاسة هي فراق ماما» .

كان يحب والدته محبة شديدة . ولذا فان موتها اصابه بحزن عظيم شبيه حياته . وفي التاسعة من عمره بدأت هجمات مرض الربو الاولى وقد عانى منه ما عاناه في حياته باسرها . ان سوء صحة بروست كانت دائما سرا من الاسرار . ثمة ميل في بعض الاوساط بعده شهيدا طوال العمر للربو . لكن الشك يلازم مثل هذا الرأي فيتردد في اعتباره صحيحا تمام الصحة .

يكتب ناقد امريكي قائلا: لا شك في ان هذا الربو كان اضطرابا عصبيا ومن المسموح للمرء ان يعرضه تدبيرا او حيلة عاطفية اكثر من كونها سبب عذاب ومرارة . فقد مكنته في الطفولة من المطالبة بالعطف الزائد الذي كان يرغب فيه من والدته خاصة ، كما يسرت له عذرا يلتمسه لتبرير عاداته الغريبة في اواخر حياته ، تلك العادات التي لم ترد — ولا شك — ترتيبا . لكن المرض كان مرضا حقيقيا ومع ذلك فهو يشير الى الخطوة الاولى في اصراره [illegible] من الحياة العملية التي كان المفروض منه ان يكون وجوده الخارجي . فالتصميم مرسوم — وهكذا عرف حتى يوم وفاته — لم يستطع الا ان يصنع حياته الخاصة . لانه بالبداهة لم يستطع الاسهام في حياة اترابه واقرانه (٢) .

يوجد كثير من الحق في هذا التحليل . كان بروست رجلا مريضا حقا . لكن المرء لا يسعه الا ان يشعر ان تطور مرضه ان لم يكن مقصودا . له غرض مقصود بعض الشيء ، فاستمراره [illegible] كان ضروريا لكتابة ذلك الضرب من الأثر الذي كتبه فعلا . ومن باكورة حياته عد نفسه انسانا ذا رسالة . وهذا ما ينبغي ان نذكره . لقد احب العالم الاجتماعي ولكنه حالما جمع المادة التي يريدها ، ربما شعر بالحاجة لتبرير انسحابه من هذا العالم لنفسه .

[illegible] مؤيد من قبل رأي احد المختصين [illegible] بصورة موهبة [illegible] وقد وجد [illegible] رسالته . هذا الطبيب وسنوه [illegible] من الاطباء . فخبرني ان الربو [illegible] الطريقة الوحيدة لمعالجته هو [illegible] مأوى ابرو في المانيا حيث يمكن [illegible] التي تناسبني لكنني سأحاول لكي [illegible] على عادة الوربيين في [illegible] بدون ان يعيروا به [illegible] (٣) .

درس بروست في مدرسة ليسيه كوندورسيه والسوربون . والظاهر ان مدرسة كوندورسيه كانت من اكثر المدارس الشهيرة سمعة وتقدما . كان النظام لينا . سمح كثيرا لأبناء بعض الطلاب — وكان الاساتذة اذكياء يرعون فضلا عن حياة ثقافية زاهرة . وهناك صادق روبير دي فلير وجاك بيزيه ودانيل هاليفي وليون بروزويك واصدر بالاتفاق معهم مجلة الكلية . وهناك ايضا ، على حسب اقوال مؤرخي سيرته ، اخذ اسلوبه المشهور طابعه الخاص ، وهذا ما سر احد الاساتذة الاذكياء ، واثار نقمة معلم اخر وذلك بمناسبة استدعاء بروست بصفته الطالب

---

(١) مارسيل بروست (باريس ١٩٢٨) ص ٩ . (٢) جوزيف وودكرج في كتابه (خمسة اساتذة) . (٣) من كلام المترجم . (٤) مارسيل بروست ، حياته وعمله . (باريس ١٩٢٥) ص ١٨ . (٥) المصدر السابق نفسه . (٦) المقصود بها قصة (ابحث عن الوقت الضائع) المترجم . (٧) المقصود به كتاب (المسرات والايام) المترجم . (٨) من كلام المترجم . (٩) ما له صلة ببروست (باريس ١٩٤٧) ص ٤١ — ٤٢ . (١٠) دفتر اليومية — اندريه جيد ص ٦٩٤ . (١١) كتاب القرن العشرين ، ا . بوشيه . (١٢) في كتابه Le Sabbat

افوز بالجائزة لعرضه مقالته الانشائية بعد زيارة المفتش المذكور لها. وفي تلك المدرسة ايضا اهتم بروست لاول مرة بالتاريخ الطبيعي. هذا الاهتمام الذي كان له اكبر تأثير في اسلوبه الناضج.

طلب ابو بروست منه ان يدرس القانون او الدبلوماسية وقد قضى ذلك في الجامعة اذ درس القانون والعلوم السياسية. غير انه لم يعبر الا عن اهتمام ببعض الموضوعات وعلى الرغم من بعض المعارضة من قبل والديه انفق حتى الاخير على الادب مهتما به.

ومن العسير القول ان الفلسفة لعبت دورا جديا اهمية السنة، في تكوينه الثقافي. ولكننا نعرف هناك حقيقة مهمة، اذ التقى برجسون لدى نشر كتابه «محاولة في معطيات الشعور» سنة ١٨٨٩، وقد ذهب لاستماع بعض محاضراته التي اثارت اهتمامه اعظم الاهتمام. وهذه [illegible] الرجلين بعد حين اذ تزوج برجسون [illegible] قريبة بروست من جهة والدته. كما اسرف بروست على خط [illegible] من رغد العيش وهذا ما جعله يتشوق عند الحياة الاجتماعية من دور باهتة.

يكتب لوي بيير كوين قائلا: «اما بحجة من الخامسة عشرة من عمره جالسا في صالون [illegible] مطعم عصري بين ندمائه ... ما [illegible] الشبان الباريسيون الذين كانوا [illegible] يكونوا لا يبغون بعضهم ذلك الا [illegible] لسكان متقاربين منه وبين الامراء [illegible] ». [illegible] فكانت [illegible] الدعوات. كما ارسلت اليه عشرة [illegible] ومناشف حريرية قطعة من احد [illegible]

والكاتب نفسه يمدنا بصورة اخرى عنه وهو في العشرين من العمر: «كانت عيناه واسعتين سوداوين براقتين، فضلا عن جفنين ثقيلين مائلين بعض الميل الى جهة واحدة. اما وجهه فكان يعبر عن ارق ما يكون اللطف الذي يمكن ملاحظته طوال الشيء الذي يعني النظر اليه. وبشرته. [illegible] كان ارق من وجهه لطفا، مع شيء من التقطع في الكلام حاد [illegible] لكنه استطاع حفظه. كان له شعر اسود كثيف كثيرا ما اخفى جبينه وهو شعر لم يطله الشيب قط. ان العينين، هما على ما يبدو، مركز اهتمام المرء، فهاتان العينان الواسعتان اللتان تحيط بهما دوائر [illegible] واهداب [illegible] فتظهران كأنهما تتحركان [illegible] لتكتم لسرية [illegible] كانت الابتسامة المستمرة ملازمة له بلا تردد وبترحاب وسرور. كان كمن المسحة غير [illegible] مع طراوة ونضج [illegible]. في الرغم من شاربه الصغير الاسود، فهو يذكرك بطفل [illegible] نعرفه منذ سنين جيد المعرفة» (٥).

اعتاد في شبابه اكرام ونادي اصدقائه بسخاء كبير. في دار والديه او في احد المطاعم. وفي هذه المناسبات كان يتناول وجبة طعامه قبل تناول اصدقائه لطعامهم. [illegible] بعد الوقت الكافي للكلام والحركة حول المائدة، والجلوس بجانب هذا الضيف او ذاك. يعرف بيير كوين «عين حيادية [illegible] الى المعطيات الملموسة وتحت سيطرة ملاحظاته» وهذا ما هو واقع فقد استخدم طرق الملاحظة برصانة مزعجة ومشاعر اصدقائه، هذه الطرق التي قدر بها ان يعد بالعون في كتابة قصصه. [illegible] انه اعتاد كتابة بعض الهوامش على قطع من الورق لتستعمل في المستقبل. ثم صنع فيما [illegible] الاستعارات [illegible] مقلدا بعض الاصدقاء. وقد كان من اصحابه الكونت روبير دي مونتسكيو ... ومن هو مذكور ان بروست ذهب ذات مرة الى حفلة لا لشيء الا ليرقب الكونت دي [illegible]. وفي مناسبة اخرى زار صديقه لكي يرى قبعة كانت قد ارتدتها [illegible] وقد دهش لانه علم بتفاصيلها.

نشر اول كتاب لبروست سنة ١٨٩٦ بعنوان «المسرات والايام» وهو مجموعة من القصص والاشعار والمخطوطات [illegible] على [illegible]. فالاشعار التي [illegible] والموسيقى هي [illegible] عن [illegible] لافورج [illegible] اما [illegible] معاصري بروست يعتبرون ابداء [illegible]. الا ان [illegible] وعموما [illegible] في الوقت السابع، الناس [illegible] نشر [illegible] هذا الكتاب (٧) [illegible] ومع ذلك [illegible] ما قاله اناتول فرانس في مقدمته: «ان [illegible] الذي يرمي [illegible] الى [illegible] الى هذا الحد. لكن هذا لا يعني، باي حال، [illegible] يؤكد اخلاصه وصدقه، الى درجة تصبح [illegible] اكثر السرور. ففيه شيء من برناردين دي سان بيير مع [illegible] وشيء من بترونيوس [illegible]».

ونحن نتجاوز الذكريات والحقائق، نرى اننا نحصل على [illegible] الكتب [illegible] وحساسية [illegible] التي [illegible] من جانب الى جانب في قصصه [illegible] ثم نعرف على بعض الموضوعات الرئيسية في القصة. [illegible] «موت بالداسار سيلفاندي، فيكونت سيلفاني» هو حكاية شاب ارستقراطي جميل يموت ببطء، من مرض غير معروف كما يرى [illegible]. اما «اعترافات فتاة شابة» ففي [illegible] اعتراف فتاة على فراش الموت [illegible] الخطيئة فدفعت بذلك امها الى الموت، ثم اطلقت النار على نفسها. وربما كانت هذه القطعة انضج [illegible] الكتاب من قطع [illegible]. اني احسب [illegible] هؤلاء الذين اعتبروا هذا الموضوع [illegible] بصحتهم

شانه ، وهو امر يشير بكل توكيد الى الاسئلة قنتوب . ثم تأتي الى « نهاية احمد » وهي تعالج موضوعا لا تحتاج اهميته الى تركيد ، على حين ان الموضوعات الاخرى تخطيطات وصفية ستنوبن طراز احمد السائد في المجتمع . ويخيم على كل هذه الموضوعات جو من الحنين المختفي وشعور ملائم الذاتي ، وهما ما ينتقلان من آونة الى اخرى في مختلف غراميات نقله رشحوصه في « المحب من لوقت الضائع » .

في سنة ١٩٠٠ ترك آل بروست شارع مالسيرب وتوجه الى كورسي رقم ٤٥ . وفي هذه السنة توفي جون رسكن الذي كان بروست قد اخذ يهتم به ونشر ذلك مقالة كتبها في الفيغارو على سبيل الذكرى للكاتب الذي كان يحبه . ومع ان بروست لم يكن يستطيع ان يقرأ الانكليزية الا بصعوبة بالغة ، فقد اخذ يعمل بمساعدة والدته واصدقائه على ترجمة رسكن الى الفرنسية . فصدرت ترجمته لكتاب « بيان امعدس » مع مقدمة وهوامش سنة ١٩٠٤ . وبعد ذلك بسنتين ظهر كتاب « السمسم والزنابق » . ومن ... ان ام بروست وجدت ... عرضاه بالكلاسيكات الفرنسية ... استمع عشر ... [illegible] الوسطى . هذا حق لا مريه ... [illegible] ... المعاصر رسكن بعبرياته ... يسموا على ارض ... كل الحدث ... [illegible] ... دورا مهما في تكوين بروست كان هودا عبر ... في اكبر ... [illegible] ... بروست ... [illegible] ... سيرك لاتجاهه الصحيح .

وعلى اثر وفاة والدته ... [illegible] ... شارع هاوسمان رقم ١٠٢ ، وهناك كتب معظم قصته . وهنا انتهت فترة الانسان الاجتماعي وبدأت عزلة الراهب المنعزل بالناس . فبين جدار الفلين المشهور الذي ... صورة بروست ... السرير من عمود ... جاك اميل ... وصورة « الطفلة » بملاسكيس . كان ... حساسا اشد الحساسية نحو حتى بالضوضاء . ومع ذلك انه حين كان شاب يقضي معظم اقصر الصيفية على البحر في كابورج ... فهو لم يكن ينسى عن غرفة واحدة بل حسب كل الغرف الاربع التي ... على غرفته والتي تحتها ، والتي فوقها على جانبيها حتى لا تزعجه ضوضاء احد الضيوف في الغرف المجاورة . كانت سكنه في شارع هوسمان معتمة المرافد دائما . فالغرفة الطويلة كان يضيئها مصباح واحد وكانت الجدران تحتفظ على لون ... ومن ... يعود الى بروست الذي لم يستطع ... بطبيع الحياة العميقة ، ولذا لم ... ان يمس من يصنع هذه الجدران بشيء به لون اكثر جاذبية . كان قلما يترك سحبه الا ليلا . اما في اوقات الحس العنيف ... لشدة ما اخذ بحماقة لرؤية زهر الزعرور البري او البرتقال

لذلك فقد كان يذهب الى الريف في عربة مغلقة تماما كي يحس رائحة الازهار التي تثير نوبة الربو ومن خلال النوافذ ... يتمتع بصره بمناظر الريف .

ومع ذلك فقد استمر العمل . ومن عاداته انه كان يحضر ... الى ... بلا ... ويستنطقهم بكل دقة عن العائلة والاسرة والحوادث الاجتماعية . وفي الحالات النادرة التي اغتنمها للخروج من داره وحضور بعض الحفلات ... الحصول على مواد ... كتابته ، كان الارهاق يهدد ... الى التعويض عن ذلك بالبقاء في الفراش ... عديدة .

اما استطاعته ... من العالم فلم يقتصر على اصدقائه ... فقد كان يقضي الساعات ... ساعتين او ثلاث ... مع رؤساء الخدم في فندق « ريتز » و « ... » ... مستهلكا في كتابه وثائق تتعلق ... العصور وسيركيهم .

كانت ... خادمة بروست الامينة ، هي التي ... في داره ، ثم اضيف اليها زوجها ، سائق التاكسي ... الداريه ... اسرته .

... لم يعرف شيئا يذكر عن ... الواحدة ثلاث سنين ، وكم ... اكثر ما كتب من ... في الفراش ، ... اوسانه ، ... الصحائف ... وحين ... من الفراش كان ... [illegible] ... لم ... من الشعور الدائم ان ... تركه في حال من الفقر ... [illegible]

... كتابة القصة وزيارة الاصدقاء شغله الوحيد في ... . فقد الامير ... رايا تحوله ان ... بحاجة الى الاتصال بالعالم ... بقصد كتابه ... وزيارة الاصدقاء ... وهذا الامر جعله لان يكون مراسلا له لا يكل ... بالقليل . ... الرسائل تحتوي ... معلومات ... عن ... القصة . عمل بروست على ... اصدقائه ... اولا باول . ... قاعة ... في ... الاصدقائه ، بكل الحفلة التي ... اعطته درسا ليقيم ... غرفته ... من فراشه ... وكذلك كان ... وفي ذات مرة ... الادبية ... يكاد ان يقتل ... . ثم ... بروست في ... عندما ... كتابة مقدمة ... بالهمك في سرد تفصيلات ... من الاضطرابات والسويش . وفضلا عن ذلك فقد ... الحركات الادبية من ... فراسن « سودي » ... على اخر عجلة من قصته . كما

كتب ما عنّ له من ملاحظات لطيفة بخصوص كتاب لاحد اصدقائه . وطبيعي ان يصير كل شيء في الحرب اخطأ ومن ذلك ان « نوفيل ريفو فرانسيز » نشرت ملاحظته كادت تكون قاصمة الظهر . كما هاجم دار غاليمار لسلطتها في اعادة طبع « ظل الفتيات الشابات في الازهار » وكاد يجن جنونه لان احدا من باعة الكتب في الارياف لم يسمع بكتابه « سدوم وعمورة » وهذا ما الفه ابان الحرب . [illegible] سماعه ماذا يعبر ذلك الطابع الشمعي على وضع علامة [illegible] على كلمة (سدوم) !

يتحدث كل اصدقاء بروست الذين كتبوا عن سيرته او كتبوا مذكرات بشأنه ، متناولين بكل حرارة سلوكه اللطيف العذب فيطنبون في كيل المديح له لما امتاز به من لطف ورقة وكرم . وعلى سبيل المثال ، حدث ذات يوم ان بول موران اخبره بانه يبحث عن صيدلي باريسي معروف ، استشارته عالية جدا ، وفي اليوم التالي دفع لسائل مبلغ كبير من المال اكثر من اجرة الطبيب بكثير . وبعد مراسلة طويلة اضطر ان يهادي مرة [illegible] توجه الى الفاس الراهب ، ملتجئا الى محسف الحمى ، ليسمح له برد المال الذي وهبه اياه . ولم يعد [illegible] صداقته فحسب ، [illegible] [illegible] ايضا الامر الذي اثار من حين الى حين [illegible]

[illegible]

حسبما كان بروست يوزع هباته [illegible] الذين خدموه ، لم [illegible] وهو [illegible] احد [illegible] [illegible]

[illegible]

وهو ينظر الى ما يحدثه الاخرون .

ومع هذه الانصاف ، علينا حين نتأمل بين مختلف الصور التي احدثت الينا عن الرجل ، [illegible] ان نشعر بفقدان شيء مروع ويروع عنا ، حرفة من بروست وكتابه . هل يمكن لهذا الراهب المدلل ، هذا الصديق الكريم ذي القلب الطيب ، ان يكون الشخص نفسه الذي كتب تلك المقالات المطلية عن الغيرة والرذيلة ؟ يمكن ان تكون اي [illegible] وبين بطل القصة الحاقد الذي يبدو مغيرا على [illegible] نفسه واصدقائه بسكوك المرعبة والذي يستخدم [illegible]

[illegible]

ان اللمحات التي نستشفها من بروست تذكرنا احيانا بالطريقة التي يقدم بها شخوصه الينا . والانطباع الذي نستخلصه يجعلنا نشعر ، كأننا نقلب صفحات حافظة صور الالبوم العائلية فنجد نسب الصور الداوية للكاتب القاسي في مختلف فترات حياته . ومع وجود بعض في المجموعة يمكننا ان نرى المؤلف بوضوح وهو في الخامسة عشرة من العمر جالسا بين قدمي مدام شتراوس ثم نراه في العشرين . الا ان الصور المتأخرة بدلا من ان تكون واضحة جبلة تبدي غير تقليدية . في هذا الصدد يتحدث بيير كرين فيقول : « لقد تغيرت ملامحه تغييرا تاما . فكان وجهه شاحبا وعينيات شاربه غير متساوية . اما انفه فقد كان مقوسا واما وجنتاه فكانتا عريضتين . الا ان عينيه كانتا اشد لمعانا . وحين ابعده عن الفراش اعتاد ان يحمل زائريه بجلباب ذي لون اصفر غامق . كان يشعر بالبرد اشد من كون السعير ، ولذا تراه يرتدي اشرطة قطنية على ياقة قميصه وقفازات قطنية في يديه وشباشب في قدميه . هذا فضلا عن حجرة احاطت بالتبخير الذي ظل يعبق رائحة كريهة طوال الوقت . فبدا وكأنه ساحر صرفي في محضره . وما ادري بدن احدهم والذين نعرف بهم سوى شخوص [illegible] .

لا تزال الصورة صورة واضحة لكل كاتب سيرة باستخدامه كلمة سحر [illegible] قدم اليها انطباعا جديدا مخيفا بعض الشيء من غير الاكتراث لذلك . وبالفعل استعمل كاتب ناقد اخر كلمة مخيف . فيرى ما كتبه فرانسوا موريك في هذه الصورة : « كي شاهد مرة اخرى تلك الغرفة المخيفة في شارع هاملين . وتلك المدفأة السوداء وذلك الفراش [illegible] [illegible] معطف وذلك القناع الشمعي الذي [illegible] [illegible] رصدنا وبعض ذكرى من [illegible] لم [illegible] شيء حي سوى الشعر

[illegible]

[illegible] الطحلب اساس المكانز الذي عداه [illegible] ..

[illegible] موران اخران كتبا في نحو خاتمة

[illegible]

[illegible] باصابعه الممدودة ابجاده . لا شيء ابشع من هذه الاشياء المريبة المجهولة التي تشبه حركة حيوان او انسان مجهول »[1] . وقال الدوق بوشيه « كان وجهه شاحبا واثاره في تحنيط كملا تظهر ملامحه الصحيحة وكان وطول المرآة السحري يحيط بعينيه فيبدو كذلك في المرآة . اما حين كان يقف مطوره بقميصا على الاعتقاد بانه انسان ميت تسنده [illegible] في تابوته . ثم حتى ليبدو انه يرى شيئا ، فهل كان يكدس كل شيء في محضر [illegible] ؟ » [illegible] هذه صور تضفي عليها بوشيه صفة الغيب [illegible] . [illegible] كلمة [illegible]

[illegible]

اكتشفت في تصرفات هذا الرجل عداوات طفل ، كما تبعث [illegible] « ابحث عن الزمن الضائع » عمل ادبي من صنع طفل مرعب . ذهنه مفعم بتجربة الانسانية كلها وروحه لا تتجاوز العشر سنين عدا »[2] .

لا شك في وجود شيء مرعب مخيف في هذا الرجل وهذا ما سنجده في اكثر اجزاء القصة رعبا ، كما اننا على علم بالطريقة المخيفة التي تختفي وراءها . كان بروست ذا شخصية ثنائية . فالراهب المتعذب اللطيف واقع حي ،

هلـاة لم

محوان المرعب ، سويه ، اطعاره في جسد
عيونه عبراء جاحظة ، وجسمه بحيرة جف
ثم يبني عير علج قتل ، يزرع السيون بالرعد
تثيره الرياح ، بلعه الجبل . يجمد الهجير واخضراء

قالت جدتي باسم روونا لها ما تناقلوه من زمن
بان وحشنا اقام في واد عمي يعج بالكهوف
وجاءه المطر ، اذابه ، ارسله للبحر
وعاد من جديد في السحاب في الشجر
نلثوه مات وانتهى
لكنه صرح . عصمهم . يهس

عيونك الشمه تنام بعد ان انام
تظل في الصباح باكرا فتفتش
وحفظت مثلك في خزانة الكتب
الصق في شباك غرفتي
[illegible]
حدثني عبراء . فحمورة [illegible]
وسال من ثوب الجدل .
حدثني مكب في عيونها
فتسي اجلسها كما ترى . [illegible]
المصدده

كلنا المسكن يحول الهرب
يحي العصفور والدجاجة ، ويضرب الذبابة
ثم جلده حصا ، ويشي اسراب احيات
عما فالتحمه الصراء خلف الافق
زحتى نحنها . فلم الهرب

سالتهم : لا شك ان احيمه السيراء صغيره وضيعة
والناس في بلاد الغرب سعداء
هناك الوان كثيرة تسمى العيون ، تبهرها .
سريم كبيرة جميلة اسمه مرتحه . في حدائق خضراء
والناس سائرون في شوارع فسيحة جميلة .
لكنهم قالوا : كنا هناك . وخيمه امثال والصحو اوسع
والسلم المقوي فيها بعريد
والناس فيها باحثون ضاحكون ، لبعضهم لا يبعدون .
اذن فكلنا سواء في الابد
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الانبار — امره ابو حجله

كما كان الكاتب يتسع لدى يحوم في المجرور والمسطح نحو عن عجز ممنوح ، وكل بلد يشجر العمر ، جمهور حتى الموت . كما كان متمسكا في غرابات اخرى سمحت عنها في مكانها المناسب

ستحرث « سوان » على نفقة المؤلف سنة ١٩١٣ ولم يحظ عبر النقاد بشيء . الا ان بروست ظل يعمل في قصته طوال الحرب ولم ينشر شيئا الا بعد ان اعادت دار غاليمار نشر « سوان » سنة ١٩١٧ . ثم لحقتها « ظل الفتاة الشابة في الازهار » سنة ١٩١٨ وقد منحت جائزة غونكور عنه سنة . وهذه كانت بداية مجد بروست . وعلى الرغم من الكثير من التقريع الذي ووجه به في وطنه فقد اصبح بين سنة وضحاها شخصية اوروبية .

ثم ظهرت « طريق آل غرمانت » والقسم الاول من « سدوم وعموره » سنة ١٩٢٠ . اما القسم الثاني من « سدوم وعمورة » فكان القسم الاخير الذي ينشر في حياة المؤلف الذي توفي في ١٨ نوفمبر ، تشرين الثاني ١٩٢٢ . اما « السجين » فنشر سنة ١٩٢٣ و « الراحلة .. » ١٩٢٥ و « الزمن المعاد » ١٩٢٧ .

تبدو حياة بروست لمعظمنا كسيرة داكنة ، ومن بعض الجهات مخزية مفرعة . ومع ذلك ، فمن الناحية الفنية نجد في هذه الحياة شيئا غريبا من الاستقامة . ان مظاهرها تشير الى ان كل شيء تآمر بعينه على كتابه بكتاب الذي قدر له منذ ميلاده ان يكتبه ، محولا تلك الحياة عن ما دعاها سارتر الى قدر ، مقدر . لقد كان شخصيته الاقتصادي الدور الرئيسي في استطاعته كتابة ذلك الكتاب الفريد . ومهما تكن اسباب مرضه الفرنسي . فان المرض كان ضروريا لمشروعه كما كان موت والدته في الوقت المناسب ضروريا . كان سنة ١٩٠٥ مدركا اعمق الادراك برسالته ، يجمع مواد غائبة لقصته وتهيأ كل التهيؤ لكتابتها . ومهما تكن من امر فهو لم يكن ليجهل ان والديه لا بد ان تصاقا اشد الضيق من محتوياتها . ولو انهما عاشا لصحبته بهما ربما كانت تمنعه عن الشروع في كتابته الى وقت يكون فيه الاوان قد فات .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

كانت مسألة حياة او موت ؛ لذلك لم يستطع احد ، ان يتحرك ، او حتى ان يرفع عينيه . ورغم ذلك فقد كان لا بد لواحد منا ان يفكر ، ان يجرب اي شيء يمكن به تحديد الموقف [illegible]

وبعد حوالي خمس او ست ثوان ، تمكن فؤاده من رفع رأسه . وكان غرضه من ذلك – وقد عرفنا فيما بعد – ان يلقي حميد درسا لا ينساه . وحين رد عليه وصفي ، لم يكن هناك اي معنى ، لم يجر جوابا ، وابتسم ، وحاول ان يخفي ابتسامته عما يجول في خاطره .

كانت الساعة حوالي العاشرة مساء ، وكنا نجلس حول المائدة ، وبدأنا نلعب ، وكومت الفلوس في الوسط ، وكان وصفي هو الخاسر ، وفجأة – وبدون مقدمات – [illegible] وصفي على المبلغ كله ، وبسط يده [illegible] في حركة حاكمة ، واعلن انه [illegible] استولى على المبلغ ، وبالطبع [illegible] يعجبنا هذا الموقف ، لم يكن امامنا الا ان نفعل شيئا ، كنا ثلاثة ، وكان هو واحدا ، كان يمكن ان نضربه وتسترجع المبلغ ، ولكنه كان اسرع [illegible] ، فقد اخرج مسدسا ، ووضعه امامه على المائدة ، وكانت عيناه كعيون النمر ، حادة ومريرة ، [illegible] ان احدنا ، قد يفكر في خطف المسدس ، ولكنني لست متأكدا من ذلك ، وتكلم [illegible] ، وكان صوته حادا ، يخرج من اعماق حنجرته مرتعشا .

– ما معنى هذا يا وصفي ؟

وحدد وصفي نظراته فيه قائلا :

– ليس له اي معنى ، [illegible] اريده ، انت تعرف [illegible] ، ما رأيكم ؟

وسؤاله الاخير لم يكن فيه تساؤل ، وهو بالطبع لم يكن ينتظر [illegible]

كان يحدد سيرنا لنا ، والمسدس [illegible] على المائدة ، فوهته مصوبة [illegible] ، يرقد على جنبه الايمن ، بحيث [illegible] اراد وصفي ان يمسكه ويطلقه . [illegible] ذلك سهلا ميسورا بدرجة [illegible] صدق . وكنت في مواجهة وصفي تماما ، وكان ممكن – باقل حركة – ان اسند المائدة [illegible] ، ولكن من كان [illegible] انه سيكون اسرع مني . [illegible] استطع ان [illegible] سرعته [illegible] ، [illegible] حاسة في اكثر من [illegible] واحدة ، واخيرا ان [illegible] على المائدة ، واعتقد رضا انه اذكى من وصفي ، فحاول [illegible] ما تكون من المسدس ، ولكن وصفي كان قد صوب فوهته اليها وهو قابض عليه ، واصبعه على الزناد ، [illegible] في اطلاق الرصاص ، ولكن [illegible] ، [illegible] ضرب [illegible] واحدة ، لتمر [illegible] فوق رأسي



[illegible] ، وشيعر ، واستند [illegible] على [illegible]

– يمكنكم ان تسووا الوضع .

[illegible] وصفي ، [illegible] المسدس [illegible] ، [illegible] ، ولا ادري [illegible] الذي [illegible] ان [illegible] رضا ، حين ازاح الكرسي الذي جلس عليه الى الخلف . .

– مكانك لا تتحرك

[illegible] بعد ذلك اي صوت او حركة ، [illegible] وصفي [illegible] وقال



– حسنا . . لصوص .

كانت جبهتها قد بدأت تنبع عرقا ، تحت وهج المصباح المدلى من السقف وشعرت بسخونة تصعد الى رأسي :

– هذه سرقة .

[illegible] وصفي كتفيه [illegible] قائلا

– سميها ما شئت ، [illegible] هي [illegible] . . . اصبحت ان [illegible]

[illegible] ، [illegible] الى المسدس ، كان اسود [illegible] ، [illegible] قد جمد في مكانه [illegible] عن المائدة ، [illegible] اما [illegible] كانت اكثر [illegible] على الزناد . [illegible] حتما . ليس هناك اي معنى للموت في سبيل لا شيء ، [illegible] حتى [illegible] الفلوس [illegible] ان الموت شيء طبيعي جدا . [illegible] ، كل من هو امامي [illegible] الوضع على [illegible] . [illegible] ، كان [illegible] صحيحا ، [illegible] لا ضرورة [illegible] ، ولكن اذا [illegible] ، [illegible] الوضع مغايرا [illegible] كان وصفي ، [illegible] . لنبدأ الان بطريقة اخرى . [illegible] وصفي قائلا :

– رضا . . احضر لي كوب ماء .

[illegible] رضا في اول الامر وظن ان المسألة مجرد [illegible] ، او هي في الواقع [illegible] بعدم التحرك . [illegible] وصفي [illegible] ، وكانت [illegible] من كل [illegible] ، [illegible] الكرسي ، [illegible] كمسمار . دارت رؤوسنا [illegible] رضا ، [illegible] بطء [illegible] ، [illegible] مركزتان على المسدس

– [illegible] ، حينما افرغ [illegible] قبل ذلك ، [illegible] بعد ان تكون قد [illegible] .

حين [illegible] رضا واقفا ، خيل الي ، انه لن يستطيع المشي ، ولكنه [illegible] ، ولم يكن لاقدامه اي صوت . كان ظهره – حينما ابتعد – [illegible] ، وكانت رأسه [illegible] في النظر الى الخلف ، الا انه لم يفعل . واعتقدنا ان وصفي ، ربما صوب اليه رصاصة في ظهره ، وقد [illegible] من

هذا الاعتقاد ، حينما نظر الى فؤاد نظرة استطعت منها ان افهم ما دار في راسه . ولم نكن في مقدورنا بالطبع ، ان نشرح لهذا الاعتقاد . وحتى اذا استطعنا ، فقد تكون هذه الفكرة لم تجل بخاطر وصفي نفسه.

نظر رضا ، او هكذا خيل الى وصفي . ولكن فلم نكن نستطيع ان نحدد سير الرصاص على الاطلاق .

رضا .. هات الكوب بسرعة .

ولكن رضا لم يرد ، فكرر وصفي نداءه ، كانت نبراته مبطنة بالتهديد . وتمنيت لو ان رضا جاء بسرعة ، حتى نخرج من هذه الازمة على نحو ما . واخيرا ظهر وفي يده كوب ماء . توقف لحظة ، ثم نظر الينا ، وكان في نظراته رعب هائل . لم يتقدم اليه ، وهو يتقدم من وصفي مقدما الكوب . وانما كانت نظراتنا قد جمدت على ... ... نظرات ابينا ، رضا ربما لا يمكن ... بعد ذلك ولكن رضا كان من الجبن بحيث لم يجرؤ على اغتنام الفرصة . اما فؤاد . فقد اعتقدت للحظة ، انه ربما استبد باليأس وهو جالس هكذا . اذ ...

اذا ما رفع الكوب ... ... اي شيء ، ... ... بسرعة ، لا شيء على المائدة ، ... على ... الكوسة . ان ذلك ... . لم يعد المسدس يعنيني ، ولا حتى وصفي نفسه . اما رضا فقد يخطر ... ... ان . ... منصبين على ... ، ولكن ... ... وصفي ... ... يبدو انه قد فهم ما اريد ان افعله . كانت الكوب في ... ... ، والمسدس في ... ، ورضا يقف بالقرب منه . كان مطمئنا ، لم يعد هو المقصود ، اما فؤاد ، فقد بدا مستسلما تماما ، ومستعدا لاي تصرف يمكن لوصفي ان يأتيه . كنت قد ... من اني المقصود ، كانت نظراته التي قد تحددت تماما ، وبريق غريب قد لتمع في عينيه ، وبدأت اعتقد

الاحساس بكل ما حولي ، فخيل الي ان الوقت قد امتد ، وان الزمن قد فقد حركته ، واننا لحظة ابدية ، لا شيء ... الا ... . وفجأة اطلق وصفي ضحكة عالية قائلا .

... ... سنعرف كيف تكون شجاعا .

... شيء في ... . انحدر الماء على صدري ، وسال ... القميص ، فاحسست به باردا . ولكني لم اتحرك ... كنت اتلقى ... ... على ... المسكب على المائدة ، لم ... اي شيء ... كل ما كنت اريده في تلك اللحظة . شيئا لم استطع تحديده . ولكنه ...

ـ رضا . ارجع مكانك

... ... وصفي من المائدة ، ووضع

...

... ... في الوقت الذي ... ... واحدة . لذلك ... ان اظل صامتا ، فلا ... المقصود مما حدث . واذا كان وصفي قد اخذ ... ... الملاءة ، ... ذلك . ... بدافع من الفرصة التي ... ... ، ... قد ... الحقيقة . على ان المسدس لدى في ... ، لا ... ... ، وهو في ... ... يمكن ان يحدد كل ... بطريقة حازمة . لم يكن احد منا يعرف ان وصفي ... ... ، ربما كانت ... ، ... غير ... باي مقدمات هو الذي حدد موقفنا . وعلى اية حال ، فليس من المعقول ... اذا ... الآن ... ان ... على ... . ولكن من يدري ؟ ... ان ... ، ان اظل صامتا .

كان وصفي ... مشدودا ، على الرغم من انه قد اسند ظهره على الحائط ، وكنت ... لا تطرفان ، ... لم ... عني .. اما ... . ولم يكن باستطاعتي ، ان اظل ... فيه . ... مرتعشة ... رجلي وذراعي . سنعرف .. سنعرف بكل شيء ، كل شيء لا بد ان اعترف به ، اذا كان قد قرر فلا ... من الاعتراف ، الا انها فرصة ... ، والانتصار في امركه لا يمكن ... ، ... ان اعترف ، ان ... كل ما يمكن ان يكون سببا في ... السعادة .

ـ ... ... والمتعة

كانت ... معلقة على الحائط ... ، وكان يمكن بحركة ... ، ثم ... كلامه ... .

ـ ... ان اعترف ، ... اعود الى ... ، اذا فكر ... كم مرة ... ... ، ... ان يلعب ... ، ... ... بالعود ... ، ... ... غير هذا ، واظن ... ... كذلك ؟

... ... احد منا راسه ، وادركت كان ... ... ، الا انه استطاع ان يحتفظ باعصابه طوال تلك المدة . وعلى ضوء ... هذه ... ان ... الليالي الكثيرة ... ... ولكن مع ذلك ... ، ... جدا ، ... ... الى ... ، وان كنا ... ... ، وكنا ... ... من ... ، ثم ... ... كان باراداته .

القاهرة — مصطفى ابو النصر

مكتبة الأديب

عالم حر جديد في آسيا وافريقيا والوطن العربي

تأليف محمد جميل بيهم – ٣٩٢ – حجم كبير – منشورات مؤسسة المعارف للطباعة والنشر – بيروت – (لم يذكر اسم المطبعة)

استاذنا الجليل محمد جميل بيهم بث عشت اناة اللهَ سطه في القلب وخلدا عينا وامانه قد . قل ان تمر سنة او اقل دون ان تمر له كتابا جديدا او طبعة جديدة من كتاب نشره من قبل .

اقرأ الآن آخر كتبه : « عالم حر جديد في آسيا وافريقيا والوطن العربي » فاجد فيه خصائص الاستاذ جميل بث في جمع ما تواتى له الاسباب ، والجد ، وامانة البحث ، والاستقلال في الرأي ، على رغم المساس – بل التعرض والتصدي احيانا – [illegible] وموضوعات تسع مجالا كبيرا من المدى [illegible] والتدرج ، وتعلق بموضوع دقيق [illegible] العربي . وهذه ميزة الباحث المبدع [illegible] في كتابه هذا ، كما نعهدها [illegible] ما وراء الستار ، الاتحاد السوفياتي وا [illegible] .

صدق وانصاف : في كتاب جميل بيهم [illegible] صدقا موجعا ولكنه شجاع يدفع به الاستعمار [illegible] مصريا . لشعوب افريقيا ، فهو يذكر مؤتمر [illegible] ١٨٨٥ ويحصر نتائجه منها : « اعلم علمه تقسيم [illegible] بورجيا الذي كان قد قسم في معاهدة توردسيلاس العالم المجهول (اميركا) بين اسبانيا والبرتغال ، ذلك العالم الذي كان معروفا عندهم بالهند الغربية » . ثم يذكر خطوة ثانية في تقسيم افريقيا بين الدول الاوروبية هي الاتفاق الفرنسي الانكليزي الذي عقد بينهما سنة ١٨٩٨ (على اساس اطلاق يد كل منهما في المناطق التي تطمع بها) « فيها » ، وخطوة ثالثة في هذا السبيل هي مؤتمر اسبانيا الذي عقد في سنة ١٩١٩ للتفاهم على تقسيم البقية الباقية من افريقيا ودخول ايطاليا في سوق الشراء والمساومة لبسط نفوذها على ليبيا . وهو في هذا التقرير لا ينفرد بالرأي بل يستند الى مؤرخين اوروبيين مثل « شارل هنري فافرود » وغيره – ص ٢٨ – ٢٩ .

هذا عن الاستعمار الغربي ، فاذا جاء دور الكلام عن الاستعمار الشيوعي بسط حجة موسكو التي « تسيطر على هذه الدول الاوروبية بالحديد والنار ولا تعترف بانها تعمل ذلك بدافع الاستعمار ، وانما تبرر وجودها هنا بحجة ان حكومات تلك الامصار اعتنقت الشيوعية برضاها وانضمت الى محور موسكو باختيارها وهي انما تضطلع بالسيطرة عليها من اجل حمايتها وحماية شيوعيتها وذلك حبا في خير الانسانية ... وبذلك تجري روسيا مجرى الدول الغربية المستعمرة التي كانت تمتن العالم (تمتن عليه) بانها تحمل الى القارات الاخرى اعباء نشر المدنية » . ص ٤٠ . وهو في هذا التقرير ايضا لا ينفرد بالرأي ، بل يستشهد على ذلك فيقول : « والواقع ان الاستعمار واحد سواء أكان غربيا ام شرقيا هو وليد العدوان واخوه . وقد اعترف ستالين بذلك عندما دفعته حدة الغضب على تيتو الى ان ينسى التحفظ الدبلوماسي فقال : ان الجيش الاحمر ، وليست ارادة الشعوب ، هو الذي اقام الدكتاتوريات الشيوعية في اوروبا الشرقية . واذا كانت الاقلية الشيوعية في فرنسا وايطاليا تفقد الحكم فان ذلك يعود الى ان الجيش الاحمر ، لسوء الحظ ، لا يمكنه ان يسدي المساعدات اللازمة لحزبي الشيوعيين [illegible] » (ص ٤٠ – ٤١) وهو في [illegible] ، بل يستشهد باعتراف قطب شيوعي من اكبر اقطابها وحكامها ، هو ستالين .

ويحمل بيهم بجد ، في الوقت نفسه ، شجاعة لان يقول كلمة نصف بها بعض دول هذا الاستعمار منها « ارق » في استعمارها واكثر كياسة (اسبانيه وهولندا) « ... فكانت – اي انكلترا – لا تكتفي باستنزاف خيرات المستعمرات كما تفعل هذه ، بل تسعى لتحسين احوالها ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي على امل ان تنال المزيد من الفائدة اذا ادركت تلك البلاد نصيبا موفورا من اليسر والتقدم . وقلما نجد دولة بمثل هذه السياسة الاستعمارية من الدول الاخرى التي جاءت تزاحمها في الاستعمار . وآية ذلك ما نراه من الفوارق الشاسعة بين البلاد الهندية التي دخلت في حوزة انجلترا او بين تلك التي كانت من نصيب هولندا [illegible] » . وهو في هذا المصدر نفسه يقول [illegible] على امل ان تنال المزيد من فائدته » .

[illegible] كبيرة ، بين هذه ، للتضاد بين معسكري [illegible] احدة ووضعهما في موضع [illegible] .

[illegible] الاستعمار الغربي ، وبعد اعلان الاستقلال الامريكي [illegible] : « جميعا خلقوا سواسية ، وان خالقهم [illegible] المحول ، منها الحياة والحرية والسعي [illegible] هذه الوثيقة وانشاءها ، [illegible] استقلالهم بعد الحرب . ثم يقول – بل [illegible] بالدليل والبرهان – ان المعسكر الغربي ، بما فيه اميركا ، خان هذه المواثيق كلها وغدر العرب وغيرهم في هذه الحقوق غدرا واضحا [illegible] .

ويذكر ، فيما يتعلق بالمعسكر الشيوعي ، مثل هذا الغدر والكفران [illegible] . ويعرض لذلك الامثلة بالتعيين ويعرضها بما يفضي الى نتيجة صريحة يقول فيها : « هذه المساعدات للشعوب في الماضي ، وللدول الناشئة في الحاضر ، بجعلهم حينا يتناسون ما يتهددهم من خطر الشيوعية ، ويغضون الطرف عن الاهوال التي وقعت في الصين وغيرها ، ثم يمضون في سبيلهم بنادون موسكو الود خلف ستار الحياد ، حتى يقضي الله امرا كان مفعولا . وكانهم في شغفهم بالاستقلال وفي حبهم للاستقرار يداوون الداء بالتي كانت هي الداء . » ويذكر في استدلاله على ذلك كلمة [illegible] : « اذا كانت الشيوعية شرا فالاستعمار اسوأ منها بكثير . » فالاستعمار اسوأ منها بكثير »

وتشيع في الكتاب كله هذه الروح من النخوة العربية والاعتزاز بالعرب والحرص على استقلالهم ومستقبلهم ولكن على اساس من التاريخ والعلم وسلامة الادراك .

ومن اكثر صفحات الكتاب صدقا واثارة هذه التي كتبها عن مأساة فلسطين وبيد انجلترا واميركا فيها والتي فرض فيها هذه [illegible] . حتى العرب فيها لن يجد اي عذر للولايات المتحدة – التي ما زالت – تقف دائما الى جانب الصهيونية العالمية المغتصبة ، ففلسطين

هذا البلد المقدس العربي الذي انتزع منا اغتصابا بغير حق ، بتأييد امريكا للغاصبين ، سوف يبقى الميدان الوحيد الذي تقاس به مواقف الدول ، وذلك ما دامت الامم في الوجود وما دام العرب وما دامت فلسطين الخالدة .

على هذا النسق من الاستعباد ، والاستبداد ، وسلاسل الحديد ، ووحدة العاطفة ، يسير الاستاذ الكبير جميل بيهم في كتابه الذي يتضمن اربعة عشر فصلا هي : الصراع بين الشرق والغرب ، الاستعمار الروسي والسوفياتي ، ظلم الانسان للانسان تحت مظلة الاستعمار ، تصدع صرح الاستعمار وانهياره ، الانقلاب السياسي في التوازن الدولي ، اسهام الشعوب الاسيوية والافريقية في القضاء على الاستعمار . وفي هذا الفصل نجد صفحات خصصها للحديث عن « مصر قاعدة الشعوب المناضلة ضد الاستعمار » تحكي قصة الجهد الضخم الذي بذلته الجمهورية العربية المتحدة لمناصرة الشعوب المبتلاة بالاستعمار — من ص ١٢٩ الى ١٣٥ .

ثم يجيء الفصل السابع وما بعده : انتفاضات اسيا وافريقيا ضد الاستعمار ، المستعمرات والمحميات في افريقيا السوداء كيف استقلت وكيف تحررت ، الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية وأثره في تحرير الشعوب ، سياسة الاتحاد السوفياتي في الحرب الباردة تؤمن له الاستعمار ، الحرب الاقتصادية بين المعسكرين في البلاد العربية وانتصار المعسكر الشرقي ، الكتلة السوفيياتية تكسب البلاد الافريقية السوداء بالمساعدات المالية والاقتصادية ، الكتلة السوفيياتية تكسب البلاد الاسيوية بالمساعدات المالية والاقتصادية ، والفصل الاخير يتضمن خلاصة [illegible] ومجموعة هامة من الوثائق وخرائط الوطن العربي [illegible] وهي خرائط الحقت بنسب الكتاب وبمضمون [illegible]

في هذا الكتاب الهام استطاع الاستاذ [illegible] العربي دراسة ممتازة مستوفاة عن مأساة الاستعمار [illegible] الجهود التي بذلت للقضاء عليه على النطاق [illegible]

وقد الحق به جدول بتصحيح بعض الاخطاء [illegible] وارى انا تصحيح واحد منها هو اسم [illegible] ماجد » فقد ورد في اكثر من موضع باسم [illegible] المؤلف ، « احد مشاهير بحارة العرب » بل [illegible] وهو الذي سار مع فاسكو دي جاما [illegible] طريق الهند الجديد « رأس الرجاء الصالح » في جنوب افريقيا .

مصر الجديدة — محمود الشرقاوي

⁂

مناجاة الكتب والكتاب

تأليف محمود تيمور — ٢٢٨ صفحة — منشورات دار الثقافة بالقاهرة — مطبعة دار الجيل للطباعة بالقاهرة

الاديب العربي الاستاذ محمود تيمور من اكثر ادباء القاهرة قربا الى قلوب الادباء والشعراء الشبان فهو لا يكاد يرفض دعوة الى محاضرة او ندوة او حفل ادبي ولم يعتذر قط عن كتابة مقدمة لكتاب آمن بموهبة صاحبه واستعداده لمواصلة السير في الدرب الطويل درب الآداب والفن .

وهو بجانب ذلك محبب الى الادباء الشيوخ اصدقاء العمر وزملاء القلم فقد عاش عمره عف اللسان لا يهاجم زميلا وان اختلف معه في الرأي وان هاجمه ناقد او اديب صد السهام عن صدره في رفق تعلو شفتيه تلك الابتسامة التي لا تفارقه وهو يسطر صفحات قصة او مسرحية جديـــدة .

وكتاب « مناجاة للكتب والكتاب » الذي صدر له اخيرا يضم بين دفتيه آراء صاحبه في ٣٤ كتاب جلها لقصاصين وشعراء عرب معاصرين وبعضها لقصاصين اجانب وهذه الآراء سجلها تيمور في مناسبات مختلفة بعضها نشر اصلا كمقدمات للكتب التي اصدرها ادباء شبان وبعضها اعدت بمناسبة الاشتراك في ندوات او محافل ادبية والبعض الآخر رسائل بعث بها المؤلف الى اصدقائه الذين اهدوا اليه مؤلفاتهم يبثهم عواطفه نحوهم ورأيه في مؤلفاتهم .

ومن رسائله الرقيقة التي سطرها لزملائه شيوخ الادب رسالته الى الاستاذ محمد فريد ابو حديد التي يعرض فيها لكتابه « انا الشعب » والتي يقول في مطلعها

« اخي الاستاذ الكبير محمد فريد ابو حديد

من حقك علي وقد اتحفتني بكتابك الجديد « انا الشعب » ان اهنئك وانني لازجي اليك هذه التهنئة في اكبار لك واعتزاز بك تهنئة مخلصة صادقة بقدر ما في ادبك العالي الممتاز من صدق واخلاص .. »

ويستطرد تيمور مستعرضا القصة حتى يضع يده على موطن القوة فيها وهو البعد عن الاحداث المثيرة والاسلوب الخطابي وهي آفة كثيرة من الكتاب الذين يعرضون في سياق قصصهم لمواقف البطولة ، والوطنية وفي ذلك يقول

« واجمل ما ساقني من قصتك انك على ضخامة الموضوع وجلالة الفكرة وشرف الهدف انك لم تحاول ان تروع قارئك بالكثير من الزوابع والاخطار والمفاجآت فهذه قصتك تدرس هيمنة الاحداث هادئة الاسلوب [illegible] حياتنا الواقعية وحياة طبعنا القومي [illegible] واضحة في اساليبه عربيته» .

[illegible] ادبنا الكبير وضمنها كتابه [illegible] « الفجر باسما الادبي » في [illegible] . وهي جزء لا يتجزأ من شخصيته ، على [illegible] ورفق دون اثارة حفيظة او اراقة دماء .

[illegible] المجموعة فوجد انها شأن كثير من المجموعات [illegible] التي لكل منها البناء المتكامل [illegible]

« سوف يخرج القراء من هذه المجموعة وقد اختلفوا اذواقا واهواء متفوت مراتب اعجابهم بهذه القصة او تلك ولكنهم سيتفقون جميعا على ان كل قصة قد بلغ نجحها في ادب العربي الحديث . »

ويستمر تيمور اهتمام المؤلفة بالاسلوب اكثر من اهتمامها بالموضوع والهدف عنايتها في ذلك عناية حلوا جميلا لا تكاد تحس معه مرارة العتاب .. فيقول

« ومهما يكن عليه الرأي الفني بان القصة يجب ان يكون لها موضوع وهدف وان تستعلي فيها جانب الفكرة وان تكون تجربة من الحياة لها اثر في التعريف بالحياة فلا ريب في ان القصة هي اول الامر وآخره ادب ، والادب الوان والحظ العظيم فيه لامتاع النفس برقة الحديث ولطف المناجاة وعذوبة السمر وفي اكثر اقاصيص هذه المجموعة نماذج طيبة لهذا الضرب من الحكايات التي تدخل في باب الاسمار تهش لها النفوس وتلذ الاسماع ... »

ويستمر ايضا ثقة حظ قصصها من الحوار فلا يتوانى عن الاشارة الى ذلك في هدوء في لباقة وحذر شديدين .

« والكاتبة في اقاصيصها تعنى في سرد الوقائع وسياقة الاحداث لا تحاول سردها وسياقها من تصوير ولكنه تصوير قليل الحظ من عنصر الحوار وليس ذلك عن قصور منها في عقد المحاورة بين الابطال وانما هو اتجاه تنتهج ولو انها عنيت في تصويرها بعنصر الحوار لكانت لها فيه [illegible] .. فان المحاورات القليلة في اقاصيصها تدل على فطنة ولباقة في تصريف الحديث ... »

وقد خصص تيمور جزءا من حديثه عن الكتب لمناجاة اصحابها وافرد لذلك فصلا في نهاية الكتاب اسماه « مع المؤلفين » وبدأه بالحديث عن « يحيى حقي » و« فجر القصة المصرية » واشار في مقدمة حديثه ـ وهو صاحب الحس المرهف ـ الى الحرج الذي احس به عندما دعي لمناقشة ذلك الكتاب « فانا احد الذين تحدث عنهم المؤلف في كتابه وقد اعتبرني خيطا من خيوط ذلك الفجر فكان علي ان اترك ميدان مناقشة الكتاب لغيري ... »

ولكنه ما يلبث ان يطرح هذا الحرج جانبا ويتحدث عن صلته القديمة بالاستاذ يحيى حقي « عرفته اول ما عرفته على صفحات جريدة «الفجر» عرفته كاتب قصة ولا اذكر عنوان القصة التي قرأتها له اولا ولكني ما زلت اذكر طرفا من احداثها .. مشاجرة على السلم بين قطيع من القطط [illegible] حمقاء كان صاحبها يطل على مواء القطط هذا شبه [illegible] القطيع . وقد بدا عرفي الى يحيى حقي بفضل هذه المشاجرة الهوجاء فكانت بيننا صحبة كريمة ما زالت حتى الآن في مكان الاعزاز والتقدير .. »

ومن خلال صلته بيحيى حقي يستطيع ان يحدد معالم شخصيته الاروع [illegible] به يحيى حقي ان فيه حدة ذكاء وفيه رهافة شعور سبحان له مهارة النقاد المصورة الفنية في الحياة والمجتمع .. »

[illegible] بعد ذلك الى الحديث عن كتابه « فجر القصة المصرية »

[illegible] « لا شك في ان الكتاب في جملته يحمل هذا الطابع طابع الذكريات ومن ثم يبدو شبه متفكك واضح تداعي المعاني واستطراد الحوار وربما يلاحظ الناقد من اجل ذلك انطباع [illegible] الكتاب لم يلتزم فيه الاسلوب المنهجي في [illegible] فهي الكتاب شيء من الاجمال وفيه ايضا [illegible]

ولكن الكتاب على الرغم من ذلك [illegible]

[illegible]

ويمضي تيمور يصف بعض الصعب كتابه [illegible] « فجر القصة » لكتابه يصدق عليه الكثير [illegible] يحيى حقي ، اليست مناجيته للقصص والقصصيين [illegible] القصة ومادة لذلك التاريخ تحتوي على [illegible]

واخيرا فقد احسن المؤلف اذ ضمن كتابه دراسة لاربعة كتب من روائع الادب العالمي هي « مذكرات آدم وحواء » لمارك توين ، و« وسب لمعة » لهربرت اسبي ، و « ذهب مع الريح » لمرجريت متشيل ، و « ازهار الحمر » لماجور . وهذه الكتب [illegible] على قراء العربية فقد نشرت لها اكثر من ترجمة في السنوات الاخيرة

ولا غرو ان يشعر القارىء بعد ان يفرغ من قراءة هذه « المناجاة » انه كان في رحلة ساحرة طاف خلالها برياض الادب قديمه وحديثه والتقى اثناءها بكثير من حملة الاقلام بعد ما نشرا فيه الكثير من الحقيقة والقليل من الخيال ..

الاسكندريه فوزى عبد القادر الميلادى

*

ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته

تأليف البدوي الملثم ـ ١٨٢ صفحة ـ منشورات المكتبة الاهلية بيروت المطبعة (؟)

الاستاذ يعقوب العوداب « البدوي الملثم » واحد من ادبائنا المعاصرين

الذين اولوا اهتمامهم ، ووجهوا عنايتهم نحو احيـــاء تراثنا الفكري ، وابراز صورة واضحة لوجه الادب في دنيانا العربية ، وذلك عن طريق ما قدمه من بحوث ودراسات بوأته مكانته بين ادبائنا المعاصرين .

و « ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته » هو عنوان آخر كتاب صدر له عن شاعر من اكبر شعراء فلسطـــين في فترة ما قبل النكبة ، واكثرهم تحسسا للواقع الذي كان يعيشه وطنه انذاك ...

الكتاب يتناول ناحيتين ، او قل خاصتـــين هامتين في شعر هـذا الشاعر ، درس في فصل منه الجانب الوطني في شعره ، وفي الاخر الجانب الوجداني ، مع ترسم كامل لمراحل حياته ، واستجلاء ما خفـي منها ، ورصد دقيق امين لما مر في حياة الشاعر من احداث وتطورات كانت سببا في تغيير مجرى حياته وشعره .

وهذا الكتاب كان قد صدر من قبل في كتابين كل منهما مستقل عن الآخر . الاول « الغواني في شعر ابراهيم طوقان » وكان قد صدر عام ١٩٥٧ ، تناول فيه بالدراسة شعر ابراهيم الغزلي والوجداني . امـا الثاني ، فهو : « الوطن في شعر ابراهيم طوقان » ، رسم فيه صـورة واضحة لوطنية ابراهيم ، وعرض لشعره عرضا ، يمكننا ان نقول عنـه وافيا ، وقد صدر عام ١٩٦٠ وهذا الامر لم يشر اليه المؤلف في كتابـه هذا من قريب او بعيد ، ولكنه اخبرني عنه في رسالته الي .

وقد رأى الاستاذ الباحث اصدار هذين الكتابين وضمهما في كتـاب واحد بطبعة جديدة امرا ييسر للباحث والمتتبع والقارىء ـ على حـد سواء ـ دراسة جانبين هامين من شعر هذا الشاعر .

قدم الاستاذ موسى سليمان للكتاب مقدمة ضافية ، تكلم فيها عـن الشاعر ، وابرز بعض الملامح الهامة من حياته الشعرية والقومية فقال: « ... ابراهيم طوقان شاعر غريب غرد في قومه فلم يسمعوا ولم يعوا ، لقد جرح الغناء منه الحنجرة ، وبح منه الصوت ، وانهد منه الحيل ، حتى تلاشى الامل ، وقومه عنه لاهون حتى ضاعوا وضيعوا معهم وطنـا ابيا عزيزا على قلوب العرب اجمعين ، هو درة الاوطان . » ص ٧ .

وعرج بعد هذا على مؤلف الكتاب ، ليقول : « فلقد استطاع مؤلف هذا الكتاب الاديب يعقوب العودات ، ان يعطينا ، عن ابراهيم الشاعر ، صورة وضاءة مجلوة جلاء لا اصدق ولا اروع ، فهو يرافقه مرافقة الاخ لاخيه ، والحبيب لحبيبه ، يخطو حيث يخطو ، ويسير حيث يسير » (ص ٨) .

وهناك ملاحظتان اود تسجيلهما هنا ، ارجو من الاخ المؤلف ان ينتبه اليهما في طبعات كتابه القادمة :

١ ـ جاء في ص ١٤ قوله : « وفي اليوم الثاني من شهر ايار ١٩٤١ خبا وهج ذلك الشعاع الساطع . » ويقصد به ابراهيم . والحال ان المرحوم ابراهيم توفي في اليوم الثاني من الشهر المذكور ، كما جاء في ص ١٠٢ من الكتاب ذاته ... واغلب الظن ان ذلك جاء سهوا .

٢ ـ جاء في ص ٨٧ من قصيدة للشاعر ، كتب مطلعها هكذا :

قد شهدنا لعدلكم بالعداله   وختمنـا لجندكم بالبساله !

والصواب هو : قد شهدنا لعهدكم بالعدالة

لقد اعطانا المؤلف صورة واضحة جلية عن حيـاة ابراهيم وشعـره ونضاله الوطني في سبيل قضية العرب القومية .. كل ذلك بلقطات بارعة ، وتحليل يعتمد على المنهجية في بعض الاحيان ، ولم يدع شاردة او واردة الا وسجلها ، ولم يترك حدثا قال فيه ابراهيم شعرا الا وبيّن اسبابه ، واوضح نتائجه ... كما ضمن كتابه بضعة قصائد ومقطوعات لم يضمها ديوان الشاعر المطبوع .

ولكن الذي لا بد من الاشارة اليه ، هـو ان هنـاك جوانب عديـدة ، وخصائص هامة في شعر ابراهيم لم تدرس الدراسة التي تستأهلها ، ولم تقيم على اساس نقدي حديث .

ودراسة الاستاذ البدوي الملثم هذه ضمت الدقة والاحكام ، وحملت بعض الشمولية والموضوعية ، اضافة الى دقة العرض وسلامته . فقد عرض لآرائه بامانة ، ولم يدع حادثة هامة مرت بحياة الشاعر الا وقف عندها ، وحللها ، وذكر ما قال فيها من شعر ، فلا يتركها الا بعد ان يشبع شغف القارىء ، ويسد حاجة الدارس . فانه عمل جدير بالتقدير قمين بالاعجاب هذا الذي اضطلع به الاستاذ المؤلف ، فقد بذل قصارى جهده في سبيل اخراج هذه الدراسة الموضوعية التي سدت فراغا في المكتبة العربية ، واعطت صورة واضحة الملامح عمن كتبت عنه . فللاخ الاستاذ يعقوب العودات تهنئاتي الحارة على هذا الجهد المشكور .

العراق ـ سامراء   **ماجد صالح السامرائي**

•

انغام حالمة

مجموعة شعرية ـ روحية القليني ـ صفحة (؟) ـ مطبعة (؟)

صدر الديوان الثاني للصديقة الشاعرة روحية القليني بعنوان « انغام حالمة » والمعروف ان الشاعرة اصدرت من قبل ديوانها الاول « همسة روح » وهناك بون شاسع بين الديوانين كما تقول الشاعرة وكما يظهر في الديوان الثاني من تطور في الشكل والمضمون الشعري وقد قدمت لديوان الشاعرة الاميرة دنيا عبد الحميد فقالت : « يظهر في الديوان الى جانب القدرة الفنانة الجميلة والحماس الوطني وروح الوفاء المتجلية في المراثي فهو معنى الايمان بالله في مراثيها وقصائدها الصوفية وهذه النواحي كلها تتخلل الديوان وتضيء جوانبه » .

والديوان يحتوي على مجموعة من الاشعار القيمة الوجدانية والوطنية والصوفية من بدأ ابتهالاتها لامها فتكتب عنها قصيدة كاملة وتهديها الديوان.

والاشعار من حيث المضمون كانت مجددة واعطت عطاء طيبا وكذلك من حيث الشكل العمودي اذ استطاعت الشاعرة ان تثبت ان الشعر العمودي قادر على استيفاء التجربة والتعبير الجديد . ولكن لا بد ان اهمس في اذن الصديقة وجود الرتابة الموسيقية في بعض القصائـد حيث تتكرر القافيـة والنفس الشعري في قصيـدة « الام » وقصيدة « ايمـان » وقصيدة « رثاء الجرنوسي » والمقطع الاخير من قصيدة « حيرة » امـا قصيدتها في رثاء اخيها فلم تصل في اعتقادي للمستوى الشعري لان الشاعرة قدمت لنا وزنا مكررا ومعان مكررة ولم تصل الى مستوى فدوى طوقان في رثاء اخيها . فلو قارنا بين قصيـدة فـدوى « على قبره » وقصيدة روحية لوجدنا فرقا شاسعا وبطبيعة الحال لم تصل لحرارة عاطفة الخنساء حيث تقول :

يذكرنـي طلوع الشمس صخرا   واذكره لكـل طلـوع شمس
ولـولا كثرة الباكـين حولي   على موتاهـم لقتلـت نفسي

وبجانب هذه الملاحظات البسيطة لا انكر اعجابي بباقي القصائد ولا بد ان اسلط الشعاع على قصيدتها « قبل الموعد » التي تقول فيها :

اختاه قولي اي ثوب من ثيابي ارتدي
ماذا سيظهر فتنتي لما ارو حواغتدي
انت الخبيرة بالهوى وانا بذوقك اهتدي
ماذا بحقك قد صنعت لتجتبيه فاقتدي

وتمضي فتاة العصر في التجمل للحبيب القادم وتتخلل القصيـدة الخوف من الجنس الاخر دائما وهو موجود بطبيعة الحال في كل امراة :

لكن اخاف اذا التقينا ان تذوب صراحتي

ولكنها تعود لتكمل الزينة وتعد الغرفة الزرقاء وعقود الياسمين . وقصيدة « قبل الموعد » من اروع القصائد التصويرية في رأيي .

وعندما تصف الشاعرة الربيع فتصفه على الطريقة القديمة وان كان ربيع روحية اجمل وارق . وهي لا تفتأ تعترف بانها انثى فيها كل صفات الانوثة ومكر النساء حيث تصد عن الحبيب وهي تحبه كل الحب :

اغـرك منـي صفاء ابتسامـي	وسرك منـي رقيـق كـلامـي
خدعتـك لكـن هـو الكبريـاء	فمهما دعانـي ساخفي غـرامي

وروحية متصوفة تسبح في آفاق الايمان والروحانية وان كانت تجربتها الروحانية غير عميقة لا تصل لمستوى رابعة العدوية او ابن الفارض وهي معذورة لان الحضارة الحديثة والواقع يقطع التجربة الشعرية الروحانية لان النفس الانسانية كنهر دائم الجريان لا يقر على حالة واحدة.

وهناك قصيدة جميلة استرعت انتباهي وهي قصيدة « دموع الشاعرة » نجد فيها نفس روحية وصفاء وجدانها وهي خلاصة التجربة عندها :

ليس شعري كلمات انه الحان قلبي
صغته في الليل يحكي عمق اشجاني وحبي
وسالت النجم يرعى ساهرا قلب المحب
يرسل النجوى شعاعا تسحر اللب وتسبي
سهري يا نجم وجد وحنين ونواح
ووسادي وحده يعلم اسرار الجراح
ارسم البسمة زيفا عندما ياتي الصباح
واغني مثل طير شفه الوجد فناح
وعلى درب الحيارى افرش الورد المعطر
امسح الدمع بكفي وبقلبي منه اكثر
ومع الباكين ابكي وعلى اللوعة اسهر
كم اواسي الناس لكن لشجوني لست اظهر

وروحية بجانب وجدانياتها شاعرة وطنية تفرح للفلاح لموته لارضه وتشاطر الشعوب العربية آلامها فتحيي الجزائر وجميلة وتكتب عن بور سعيد . وهي لا تنسى شعب فلسطين المشرد فتتحف ديوانها بقصيدة « عودة الاحرار » تصف فيها الطفل الشريد واللاجيء وزمهرير الشتاء وتورد صور من النكبة وان كانت غير عميقة التجربة في هذه القصيدة الا انها صادقة العاطفة .

اما بعد فهذا ديوان روحية القليني الثاني « انغام حالمة » وهذه كلمتي الموجزة التي لن تؤخر ولا تقدم في عظمة الديوان كعمل فني وفكري وهذا الحكم العابر انما هو من باب « النقد التأثري » وروحية قبل كل شيء صديقة مخلصة وشاعرة كبيرة ومع اعجابي بهذا الشعر العظيم وهذه الشاعرية الاصيلة اقول للاخت الكبيرة الى الامام يا شاعرة الطليعة والى اللقاء في ديوانك الثالث ان شاء الله .

القاهرة — **محمد عز الدين المناصرة**

•

مـــع الطليعـــة

تأليف فؤاد صروف ـ ٢٣٢ صفحة ـ المطبعة (؟)

كان لا بد لي ، وانا الذي عشت في دار « المقتطف والمقطم » اكثر من عشر سنين اتعلم الصحافة ، وآشافه رجالاتها ، واحضر درس التوجيه الرشيد الذي كنا نتحلق حوله في كل اسبوع ، على يد العالم الجليل فارس نمر ، احد اصحاب هذه الدار الصحفية الكبيرة ، فضلا عن التوجيهات اليومية التي يمليها علينا ، او يرسلها للاطلاع الاستاذ خليل ثابت ، او تلك الجلسة الممتعة التي كان يتصدرها الصديق الاستاذ وديع فلسطين ، ويحضرها جل اهل العلم ، وارباب القلم ، سواء من سكن القاهرة ، او جاء من بلد بعيد ، ليسمع او يناقش ، او يجادل ، او يعرض ما عن له في مطالعاته طيلة ايام الاسبوع ، كان لا بد لي من ان التقي مع احد اصحابه في كتاب او كتب ، او حديث عابر ، اعرض فيه وجهة نظري ، نحو صاحب هذا الكتاب ، او هذه الكتب التي اربت على الثلاثين : علما وتربية وادبا ...

كانت هذه الدار التي وجهت الصحافة العربية هذه الوجهة السليمة على صغر حجمها ، وقدم بناياتها ، تضم اصحابها الاعلام ، والعاملين في حقل الصحافة الناضجة الناجحة التي نسج على منوالها في العلم والادب والاخبار ، كثير من الصحفيين في اكبر الدور الصحفيــة ، التي يشار اليها الآن ، واصبحت عنوانا على الصحافة المتقدمة بما ترسمه من فن في « المقطم » او ما اخذته من علم من : « المقتطف » .

والواقع ، ان اصحاب هذه الدار ، كانوا يفسحون صدورهم لكل من يريد الانتساب اليهم ، او يمضي معهم على جادة الطريق ، وكان الاستاذ فؤاد صروف شانه شان والده واعمامه ، يهمه ان ياخذ بيد هؤلاء ، الذين يحومون حول الدار او يدخلون ، وعندهم امل التخرج على يديه ، او بين اكناف هذه الدار الواسعة التي مضت في رسالتها ، تحدوها الرغبة في السمو، وتتيه بما تنشر من خبر صادق او بحث سليم ، او رأي سديد .

على اني ، وان كنت معنيا بما ينشر هنا وهناك من ادب وعلم ، الا انني لم اكن اعنى بما ينشره فؤاد صروف من بحوث ، او ما يخرج من كتب ، الى ان لفت نظري الاستاذ وديع فلسطين ، الى كتاب : « مع الطليعة » الذي نادى فيه صاحبه : كل من يستشعر في صفحاته طائفا من عناية يعنى او خشوع لذكرى ، فهو من ذويه الادنين ..

والعجيب انني استشعرت في كـــل صفحاتـــه العناية ، وخشعت لنفثاته ، فكنت من ذويه الاقربين ، فعلا وقوة ...

وكتاب : « مع الطليعة » التي تناهز فصوله الثلاثين ، يعمر بالتوجيهات والتراجم ، ويعنى بالتربية ، ويضم الرأي الفرد ، والحكم السليم ، مما جعل لكوثره الشهية ، ان تجتذب اليها الجائع ويلوي اليها الصادي ، يوم لا يكون هناك ري ، يبل الاوام ...

والذي يقرا قول فؤاد صروف : « اشعر بزهو يهز كياني ، وبغبطة ترفع راسي ، اذ استجلي اننا تقدمنا الى هيكـــل العلم والمعرفة مع سائـــر الشعوب ، ووضعنا بعض الحجارة في اساسه » يختال تيها ، ويعجب للمسات هذا العالم ...

لم يضع الاستاذ فؤاد صروف ايدينا على ما يجب علينا : « فالواجب النابع من اعماق النفس ، واغوار الشعب ، وعبـــر التاريخ ، وواقـــع الانسانية ، يفرض على ابناء الطليعة في كل جماعة وكل بلد ، ان يقبضوا على عنان العلم من اجل الفهم والقدرة والانشاء ، وان يعبوا من مناهـــل التاريخ من اجل العزيمة والحكمة ، وان يستشرفوا العالم ، زمانـــا ومكانا ، اخذا وعطاء ، من اجل السير في موكب الحضارة وتوجيهه ، وان يتقدموا في شجاعة وصلابة الى حمل اعباء التبعة الاجتماعية من اجل الاصلاح ، وان يروا بالبصيرة الرؤى الرائعة ، التي تنتظر من يحققها من الطلائع والرواد . فاذا فعلوا فقد نالوا من التربية الصحيحة المتكاملة لبابها ، واسبغوا على معهدهم شرفا لا يطاوله شرف وعلى مجتمعهم نعما لا توزن ولا تقاس ، وكانوا الرواد الذين يضفر لهم التاريخ اكاليل الغار وان عذبوا واضطهدوا واستشهدوا ، فاذا هم بما كانوا وما صنعوا علم مضيء على طريق الانسانية الصاعد الى الذرى . »

لم يحرص الاستاذ فؤاد صروف على الاشادة بفضائل العلم ، ويجعله كل شيء في التقدم والحضارة : « اما الصفة الواحدة ، فهي القدرة النابعة من امتلاك ناصية العلم ، ومن السجايا العقلية والخلقية التي لا بد من توافرها لتحقيق هذا الامتلاك ، التي يؤتيها العلم الصحيح كل من

امتلــك ناصيته » . « ومن هنا اقول للمقبلين علــى التخصص فــي الدراسات العلمية ، لا تهملوا الآداب والفنون ، وللمقبلين على التخصص في الدراسات الادبية ، لن تكونوا ادباء حقا ، اذا نفضتم ايديكم من فهم بعض القوى العلمية الفاعلة اقوى فعل ، في حياة الناس » .

ويحدد العلامة فؤاد صروف الرجل المثقف بانه : « ينبغي ان يكون ذا عقل صقلته الرياضة الفكرية ، والتمرس باصول العلوم والفنون ، دون ان يكون ـ ضرورة ـ عالما متمكنا او فنانا مبدعا ، او فيلسوفا . ويجب ان يكون ذا عاطفة ارهفها التذوق الفني ، في جميع الفنون الرفيعة . فهذه العاطفة المثقفة لا تغني عنها معرفة ، مهما تتسع وتعمق ان كانت معرفة وحسب ، عن الفنون . اما التذوق الفني الاصيل ، فيقتضي ان يلازمه ويغذيه قسط من معرفة ، تسعف النقد السليم ، وفي هذا الاندماج سر النشوة الفنية » .

« والرجل المثقف اخيرا ، هو الرجل الذي يعتز باولوية الفكر السليم، فلا يكابر في امر عن عناد ، ولكنه يملك الشجاعة التي تمهد له الاستمساك برأي يراه صوابا ، وان عز الانصار ، او تمهــد له الاعتراف بالخطا بوداعة ، اذا رأى وجه الخطا فيما رأى » .

والرجل المثقف في رأي فؤاد صروف ، اخيرا ، « هو الرجل الذي يدرك : « السعادة المتزنة » و « الاتزان العقلي والعاطفي » ، بمعاشرة مبدعي الثقافة والمثقفين ، احياء ، وآثارا باقية على الدهر » .

وليس أدل على حب الاستاذ فؤاد صروف للثقافة ، من انه يوجهنا الى كيف نقرأ ، ويهتم الاهتمام كله بسرد شيء مما وقع له ، فيقول : « وقد تعودت منذ حداثتي انني اذا دخلت دارا مهما تكن صغيرة فاول ما التفت اليه ، مكان الكتب فيها ، فان لم اجد فيها بضعة كتب ، تدل على حياة النفس والعقل في تلك الدار ، شعرت انني في قفر خال مــن الخضرة والمــاء » .

« واياً كان غرضك من المطالعة ، واسلوبك فيها ، فالامر الذي لا ريب فيه ، هو ان المكتبة المختارة الخاصة ، ليست مــن الكماليات بل مــن الضروريات ، ومطالعة الكتب الممتازة ـ قديمها وحديثها ـ لها نشوة دونها نشوة الراح ، ومنها فائدة لا توزن بدرهم او دينار » .

ويتحدث الاستاذ فؤاد صروف ، عن اتجاهه الى الناحية العلمية في كتابته ، ويرجع ذلك الى نشاته بين احضان « المقتطف » وما كان عليه عمه الاستاذ يعقوب صروف بين اهل العلم والفكر ، وانصرافه ، في عهد الطب ، الى العلوم الطبيعية ، « جاء انصرافي ، في فترة طويلة من حياتي، الى التاليف العلمي الميسر ، نتيجة لعاملين اثنين ـ اولهما عنايتي ، في عهد الدراسة في الجامعة ، بالعلوم الطبيعية دون اغفال الادب والتاريخ واقتناعي ، بان العهد المقبل في تاريخ البشر ، وتاريخ العرب بوجه خاص، مرتبط اوثق ارتباط ، بتقدم العلم تقدما اصيلا وبتطور الزراعة والصناعة القائم على العلم ، وياخذنا نحن في لبنان والبلاد العربية بتلابيب العلم ، كما فعلنا في حقبة ثانية من تاريخنا العريق ، والتوسل به لانهــاض الشعب بتحسين صحته ، والانتفاع بموارد الطبيعة في ارضنا . وقــد اجتمعت هذه المعاني في نفسي حتى صارت في منزلة عقيدة اؤمن بها ، ومهمة احاول ان اضطلع بها ما استطعت .

واما العامل الآخر فاوجزه بكلمة واحدة هي « المقتطف » . وقد كانت مجلة « المقتطف » في ايام دراستي ذات منزلة عالية عند جماعة المثقفين في العالم العربي . وكان بينهم من يعدها « معلما » لجيل او اكثر منهم. وكان عمي ، يعقوب صروف ، احد اثنين انشآها يوم ان كانا استاذين في الجامعة ، وكنت اذا عدت الى بيتنا في حدث بيروت ، في اجازة من الجامعة ، اعكف على مجلدات « المقتطف » اطالعها ، حتى لاحسب انني طالعت اكثرها ، فالتقت في نفسي العقيدة والمتعة والرغبة في ان احذو حذو عمي عسى ان يروقه ذلك ، وان انال بعض التقدير الذي كان يستمتع به بين اهل الفكر والعلم » .

ثم يتحدث الاستاذ فؤاد صروف عن الصحافة ويتناول علاعجها ، بعد

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العــادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابهــا سواء نشرت ام لــم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : (الادارة ٢٢٣٨١٩ (Dir : 223819

(المنزل ٢٢٥١٣٩ (Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البــير اديب

تعريفها وتوضيح رسالتها ، ثم لا يفوته ان يعالج مشكلة الامية ، ويرسم الخطوط الواضحة لادوائها ، فيقول : « بيد ان الامية ينبغي ان تمحى ، لا لزيادة القدرة على الانتاج وحسب ، او لتوفير اسباب الصحة وحسب، وان كانا كلاهما ، خيرا اساسيا ينبغي ان تحدي اليه الركائب ، بل محوها واجب ، لان هذا الانسان الذي برأه الله ونفخ فيه من روحه ، لن يستطيع ان يخطو على الطريق المفضي الى تحقيق بعض انسانيته وكرامته ، ان لم تتح له الفرصة ليعب من مناهل الحكمة البشرية المفرغة في قوالب شتى من الادب العالمي العالي ، وان لم يتمكن من فهم تاريخه القومي ، فيتعرف الى بعض اخطائه حتى يجتنبها ، والى بعض امجاده حتى يستوحيها . فهذه الذخائر التي تفتح له « الكلمة » ابوابها الموصدة، تتيح له على مراحل ، ان يرتفع درجة درجة على سلم الثقافة ، التي تصقل الملكات ، وتهذب الفطرة ، وتجعل الناس ادنى الى التفاهم والسماحة ، والتعاون على الخير » .

وللاستاذ فؤاد صروف قدرة عجيبة على الارتجال في اي مجال من مجالات العلم ، او محفل من محافل الادب ، فاذا ما انتهى الحفل ، وتفرق الجمع ، وعاد الى بيته ، وجلس الى مكتبه ، استطاع ان يدون ما القاه دون اعداد ، واستعادة ما حدث به ، على كثرة تزاحم المحافل ، وتعدد الكلمات وتفرع المناقشات التي تدور هنا وهنالك ، و « المتجدات » و « الكشاف » و « يوم الشجرة » شواهد على هذا الاستعداد ، وبواسق على : « ربنا ، في هذه الارض المختارة ، نوزع اليوم افراسا ندية ، فباركها في مهدها ، بمحبتك ، وارشد في سراديب التربة جذورها الطرية ، وارفع اغصانها الى السماء ، وامنحهما القدرة على النماء والعطاء ، حتى تؤدي فريضتها ، ظلا وزهرا وثمرا ، لعبادك المسبحين بنعمتك وحمدك آمين » .

ولقد اسهم الاستاذ فؤاد صروف بقلمه في دراسة هؤلاء الاعلام الذين تاهت بهم الدنيا ، وكانوا النبراس المضيء في مجالات العلم والادب والريادة ، فبدأ بالاخطل الصغير ، ثم ثنى بسعيد تقي الدين ، ثم ثلث بالرافعي ، ثم تناول طاغور والياس فرحات وشبلي الملاط وابراهيم المنذر وبهيج مراد بارودي وجميل تلحوق واحمد عارف الزين ومحمد سلام وميخائيل شديد وحسن كامل الصباح ويعقوب صروف وعيسى اسكندر المعلوف ...

والحق ، ان الاستاذ صروف ، قد نهج نهجا جديدا في دراسة الاعلام ، ورسم خطوطا بارزة في هذه الدراسة الماتعة ، فبدأ بالعصر الذي عاش فيه العالم او الاديب ، واثر العصر في شخصه ، وتأثر الاديب او العالم به ، وبما دار فيه ، واستعراض التواريخ المتصلة بحياة هذا البطل ، وقسمه حلقات واثر كل حلقة وقف على ابوابها المؤرخ له ، بعد ان فرض نفسه بسلاحه ، على دخول معركة الحياة ، واثبات ما له من حقوق ، تجاه التاريخ الذي دان لكل هذه العبقريات التي ارخ لها فؤاد صروف ، ووقف واياها في ميادين النضال ، يحملون شرف الكلمة ، ويدافعون عنها في صبر واناة ...

ولا يسع اي كاتب مهما اوتي من البيان ، وملك ناصية القول ، الا ان يكبر في فؤاد صروف العقل والمعرفة ، ويتمنى ان لو كان له انداد ونظراء ، ديدنهم العلم ، وشاغلهم الاطلاع ، وسلاحهم فل الحجة بالحجة ، ومقارعة الخطوب ..

وهو في كتابه هذا، كما في جميع كتبه التي من طرازه ، مثل : «على الطريق » و « عند الباب » يجمع في شخصه رحابة ذهن الفيلسوف ، ودقة ذهن العالم ، وصفاء ذهن الاديب ، ورجاحة ذهن الحكيم ، فيؤدي لها جميعا حقوقها كاملة بما دان له من حصيلة فكرية غزيرة ، وبما انفعل به من تفكير ذاتي ناجم عن تلاحم هذه الثقافات جميعا ، وتلاطمها في ذهنه الولود المتجاب الناضج .

القاهرة — ابو طالب زيان



ظهر حديثا

• عالم حر جديد في اسيا وافريقيا والوطن العربي ـ تاليف محمد جميل بيهم ـ ٣٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

• القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه ـ تاليف ثريا عبد الفتاح ملحس ـ ٤٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

• ادونيس وعشتروت ـ ملحمة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٤٨ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

• اوراق عمر ـ شعر ـ غادة سلهب ـ لوحة الغلاف بريشة محمد علي الخطيب ـ ٩٦ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

• الاصالة في الشعر الشعبي العراقي ـ تاليف جميل الجبوري ـ ٦٨ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ببغداد (لم يذكر اسم المطبعة).

• دنيا ـ مجموعة شعرية ـ ايوب عباس ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

• مع الادب العاملي : دراسة ونقد وتحليل ـ تاليف علي الزين ـ ٢٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة سميا ببيروت .

• الصواري وعيون الاطفال ـ شعر ـ احمد دحبور ـ مصمم الغلاف احمد دراق ـ ١٠٨ صفحات ـ مطبعة الاندلس بحمص .

• راحل عبر الافق ـ تاليف بنيامين يوسف كاندلو ـ ترجمه من اللغة الارامية سيمون ملكوم اميرخاص ـ ٤٨ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغداد .

• ثوار ـ شعر وطني ـ لمجموعة من الشعراء ـ تقديم الدكتور محمد ثابت الفندي عميد كلية الاداب بجامعة الاسكندرية ـ ٢٥٦ صفحة ـ منشورات الهيئة المحلية لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ـ مؤسسة بور سعيد للطباعة والنشر (؟)

• لقطات ملونة ـ مجموعة شعرية ـ سعد البواردي ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الاشعاع (؟) ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

• نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما ـ تاليف امين الريحاني ـ الطبعة الثالثة ـ اشرف على تصحيحه وطبعه البرت الريحاني شقيق المؤلف ـ ٤٩٦ صفحة ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

• احمر من الحمار : قصص جد وقصص مزاح ـ تاليف ميشال نقولا ـ ١٤٢ صفحة ـ مطابع سميا ببيروت .

• بيان الواقعية الابحائية : نظرية الفنان رولان خوري ـ تاليف الدكتور نهاد رضا ـ ٥٦ صفحة ـ مع ٨ لوحات لرولان خوري ـ منشورات الصفا بحلب ـ مطبعة الضاد بحلب .